

اشعار اليب

ع بأسئلة الأردني التحيب

أجاب فيها فضيلة الشيخ

أبو الفضل عمر الحارثي

حفظه الله

عاب أسئلة الشيخ

أبي يوسف الأردني

فك الله أسره



بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة المأسدة الإعلامية

:: تقدم ::

إشعار اللبيب بأسئلة الأردني الحبيب

أجاب فيها فضيلة الشيخ / أبو الفضل (عمر الحدوشي) حفظه الله

على أسئلة الشيخ / أبي يوسف الأردني - فك الله أسرته -

١٤٣٣ هـ | ٢٠١٢ م

بسم الله الرحيم الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحابه أجمعين.

أما بعد:

فقد وصلني سؤال -منظوم- بعد دياحة وفدلكة وتوطئة ومقدمة أدبية رائعة، والكاتب النبيل، والناظم الأصيل، والشيخ الشاب المشتعل حيوية وذكاءً واجتهاداً وغيره وذباً ودفاعاً عن دين الله - كثر الله من أمثاله، وكثر فوائده - لا فض فوه، ولا سعد من يجفوه آية في الصبر والنشاط، إنه: الداعية المنيب، والواعية الأديب، والأسير الحبيب، والخطيب اللبيب، والكاتب المقتدر الحبيب أبو يوسف الأردني، فارس المنقول والعقول والعقري المسدد في أقواله وأفعاله وكل النقول، وهو من أفراد وخيرة شباب هذا الزمان، وسيكون له في مستقبل أيامه شأن عظيم، وقلمه سيكون سيلاً إن هو استمر في البحث والتحصيل والنقش والتقميش والتفتيش والترقيم، وهو معروف باختياراته للمواضع النادرة - وحسن اختياره دليل على عقله وعلمه - والأسئلة اليتيمة، ومن قرأ أسئلته هذه يامعان وإنعام، وتأمل وتدقيق يجد علمه وأدبه أكثر من سنه، وقد حاولت - على كثرة الأشغال العلمية، وقلة المراجع داخل زناتي الانفرادية - أن أجيبه إجابات موجزة تشبه الألغاز، وأحببت أن أجعل الجواب بديع المنزع، سهل الألفاظ والمعاني، بأحلى حلة وأحسن تخريج، وأجمل ترتيب، على أن صياغة المؤلف كانت صياغة علمية بأسلوب منقح مصفى، بأسلوب رشيد ومنهج سديد، بأسلوب فاخر وقلم زاخر، زبدة - لا زبدة - الفهم والحكم الساطعين القاطعين الخاتمين فجعلته مختصراً من باب: (أشار فأشار)، و(كلّ يُنفق بما عنده)، وأظنه قد استفاد من محنته كثيراً - حفظه الله -، لا كغيره من الإخوة الذين لم يستفيدوا منها حاشا قلة الأدب، والجرأة على المشايخ، وتقويم العلماء، وكنت أتمنى مجرد أمنية أن يفهموا قول شعبة وغيره: (من علمك حرفاً صرت له عبداً). وبالله تنأيد، ومعظم شبابنا في العالم الإسلامي ممن لم يأخذ عن المشايخ ينطبق عليهم قول القائل:

أقول له: عمراً فيسمعه سعداً وأكتبه حمداً وينطقه زيدا!
وإذا الفتى عرف الرشاد بنفسه هانت عليه ملامة الجهال

وبدل أن يشتغلوا بالطلب والتحصيل يشتغلون بتكفير وتضليل المخالف، بدون بينة ولا تثبت ولا روية ولا شروط ولا النظر إلى الموانع، وأين منهج: (فتبينوا)، أو: (فتشبتوا)، وقد توسع في شرح هذا المنهج القويم شيخنا العلامة المحدث، والأديب الحثيث محمد ابن العلامة علي بن آدم الأثيوبي الولوي في كتابه القيم الذي أسماه: (إيضاح السبيل شرح إتحاف النبيل بمهمات علم الجرح والتعديل) عند قوله:

الحمد لله الذي قد أنزلا حثاً علي الجرح بيانه العلى
إن جاءكم فأوجب التبين في خبر الفاسق حتي نأمن
ثم صلاة الله والسلام على النبي ما انجلي الظلام
والآل والأصحاب والأتباع ما انهمر الغيث على البقاع

أرجع وأقول: ومهما كلفه هذا الامتحان من جهد وتعب ومحنة وإرهاق إلا أنه سيستفيد منه أكثر مما يظن، وسيرجع بإذن الله برصيد عظيم، وحصيلة ثمينة ستكون معينة ورائدة له في مستقبل أيامه العلمية بإذن الله، إن هو أقبل على الاشتغال

والتحصيل، والصبر على مشاق العلم، إذ الصبر شرط في نيل كل عزيز غالي، واستدامة الطلب، والصبر على اللأواء والنصب وسيلة تفتح الباب للدخول إلى كل مرغوب، اجتهد أخي الفاضل فالعمر قصير، والعلم كثير، فينبغي للطالب أن لا يضيع الأوقات والساعات، ويغتنم الليالي والخلوات والجلوات، ويحلو لي أن أتمثل هنا بيت من قصيدة طويلة كنت قلتها بسجن تطوان المحلي، وهو قلبي:

في خلوة أنت استفد لا تحزنن من جلوة أنت ابتعد لا تحزنن

ويغتنم مجالس الشيوخ ويستفيد منهم، فليس كل ما فات يُدرك!

ولست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لو أني!

وصدق من قال:

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسنة يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس في طلب الغلا يسيراً يعيش دهرًا طويلاً أخا ذل ٢

(فعليك يا طالب العلم أن تجد في التحصيل، فإن الأمر كما قال ابن الجنيدي: (ما طلب أحد شيئاً بجد وصدق إلا ناله، فإن لم ينله كله نال بعضه) ٣.

إن التشاغل بالدفاتر والمحا بر والكتابة والدراسة
أصل التعب والتزهد والرئاسة والكياسة

ذكر ابن حبان بسنده إلى إبراهيم أنه سمع صوت هاتف، وهو يقول:

يا طالب العلم باشِر الورعا وياين النوم، واهجر الشبعا
ما ضر عبداً صحت إرادته أجاج يوماً في الله أو: شبعاً
ما ضر عبداً صحت عزائمه أين من الأرض، أينما صقعا
ما طمعت نفس عابد فنوى سؤال قوم إلا لهم خضعا
يا أيها الناس، ما لعالمكم في بحر ماء الملوك قد خضعا
يا أيها الناس، أنتم زرع يحصده الموت كلما طلعا ٦

وهذا نص سؤاله الرائع الأسيف:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى شيخي الفاضل وبقية السلف الأماثل، ومن أشرقت شمسها في سمائي، وغدا علمه زادي وغدائي، ومن فتح رتوق المشكلات، وألقى بنور فهمه الناقب على مبهم الدقائق فغدت من الواضحات.

إلى أستاذي ومعلمي الشيخ عمر الحدوشي أدام الله ظلك، وبارك فيك من شيخ عالم جليل، فإنك-فضلاً-تحفنا وترفنا بتحف العلم، وتدلنا على مراتع الأدب وأخلاق الصالحين، وتأخذ بأيدينا إلى دنيا ليست كدنيا الناس وتالله مهما ارتفع في فضاء المعاني والمباني فلن يدرك حاجته ومهما طار الفكر في سماء الأدب فلن يعود بطلبته، فأين تقع كلماتي من بحر جودكم، وما تفعل الشفعة في الوادي الرغيب، وهل تدرك السواقي شأن البحار الزاخرات، ولا زالت بغاث الطير تزل عن مراقبي الجبال الشامخات.

وهاك أبياتاً جاش بها الضمير، وإن كنت كمستبضع التمر إلى هجر، وكمبتغي الصيد في عرين الأسد.
فالفضل للمبتدي وإن أحسن المقتدي، ويمسي أن يشفع حيي لكم فتروج بضاعتي المزجاة، ولعل ودي لكم أن يقوم بسوق تجارتي الكاسدة والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل:

سَلِّمْ عَلَى شَيْخِ الْعُلُومِ وَقُلْ لَهُ	هَذَا خُطَابُ مُحِبِّكُمْ فِي اللَّهِ
وَفُؤَادِهِ شَوْقاً مَقِيمٌ عِنْدَكُمْ	لَا يَحْبِسُنَّ الرُّوحَ سَجْنٌ وَاهٍ
فَابْسُطْ يَمِينَكَ شَيْخَنَا فَلْعَلَّهَا	حَمَلَتْ نَسَائِمَ قَبْلَةَ الْأَوَاهِ
لَتَحِطَّ فِي لُطْفٍ عَلَى كَفِّ مَضَى	يَصْنُ ٧ الْحَدِيثَ مِنْ افْتِرَاءِ سِفَاهِ
تَاللَّهِ إِنْ كَادَتْ جُسُوماً لِلْبَلَى	فَعَبِيرُكُمْ لِلنَّفْسِ مِثْلَ الْمَاهِ ٨
وَالْقَلْبَ مَفْطُورَ لَطِيبِ حَدِيثِكُمْ	وَلَذِكْرُ أَحْمَدَ طَيِّبٍ شِفَاهِ ٩
مَنْ ذَا يُلُومُ الصَّبَّ فِي أَوْصَافِكُمْ	عَلِمَ يَزِينُ وَأَسْرُكُمُ فِي جَاهِ
فَاذْكُرْ أَخَاكَ بِدَعْوَةِ سَحَرِيَّةٍ	تُنْجِي الظُّلُومَ لِنَفْسِهِ وَالسَّاهِي
مَنْ يَشْتَرِي التَّوْحِيدَ أَوْ: يَحْيَا بِهِ	أَكْرَمَ بِصَفْقَتِهِ وَعَزَّ جَاهِ
فَالسَّجْنُ فِي الدُّنْيَا لِكَفَّارٍ وَإِنْ	مَلَكَ الشَّرَابَ وَأَقْصُرَ الْيَاهِي
وَالْحَرُّ هَمَّتُهُ إِلَى رَبِّي عَلَاً	كَلَّ الطَّغَاةَ وَخَالَقِي وَإِلَهِي ١٠

إلى الشيخ الفاضل الكريم: هذه بعض أسئلة من إخوان لك في سجون الطواغيت، ويستفتونك علماً، ويستنصحنوك تجربة وعقلاً وفضلاً.

السؤال الأول: ما حكم استنقاذ الأسير من أسير مثله ومعه؟.

وهل هناك مصلحة راجحة بهروب سجين مسلم في حين تكون مفسدة على باقي السجناء من تضيق ومنع كثير من الامتيازات، وربما يؤثر هذا الهروب على زيارة الأهل لسجنائهم، وعلى حد تعبيرهم قد يكون انقطاع الأهل عن الزيارة فتنة للأهل وذوئهم من السجناء... أفيدونا في حساب المصالح والمفاسد الشرعية حفظكم الله تعالى.

السؤال الثاني: ما التوفيق بين ما يجده أحدهم من انعدام الثقة بأخ له بناء على تجربة سابقة وبين واجب إحسان الظن بالمسلمين وخاصة أهل الجهاد؟ ولو تتفضل علينا بنصيحة عملية رعاك الله تعالى.

السؤال الثالث: ما حكم من يقول بأنه لا يستطيع أن يتحاكم للشرع ويريد الاحتكام لعرف السجن أو: ما شابه، متذرعاً بأنه سجين؟ نرجو التفصيل في حدود هذه المسألة بارك الله بكم وفيكم.

السؤال الرابع: ما هي حدود العلاقة بين السجناء وإدارة السجن؟ وهل يصح القيام ببعض الأعمال التي من اختصاص الشرطة، مساعدة للإخوة وتخفيفاً عنهم؟ علماً بأن من يقوم بمثل هذه الأعمال من إغلاق الغرف وما شابه ذلك سيكون ملتزماً بالقوانين التي وضعتها الإدارة على إخوانه.

السؤال الخامس: ما هي نصيحتك لإخوانك؟ سدد الله رأيك. و جزاك الله كل خير وكتب الله أجرك.

أما سؤالي الشخصي منك يا شيخ أن تخصصني بدعاء في قيامك سحراً، ورفع الله قدرك وفرج عنك. أخوك: أبو يوسف الأردني الأسير في سجون الطواغيت غفر الله له ولك.

ولي أنا ناصر الدين البغدادي سؤال خاص ومهم لشيخنا الغالي بعد التحية والسلام والمحبة والإكرام لشيخنا الحبيب ومعلمنا الأديب عمر الحدوشي فرج الله عنه وكشف كربته.

أقول لشيخنا الغالي: سمعت كلام سوء عن الشيخ الأسير أبي محمد الفزازي! والله لقد هالني الكلام عن الشيخ الحبيب! لاشك أنني لم أصدق ما يقال فلست والله الحمد ممن يسمع كل من هب ودب بل: نحن أتباع: (فتبينوا) ١١ ولم أشك في الشيخ بتاتاً، لكنني أحب أن أقطع دابر الشيطان اللعين وأسأل عن الشيخ هل لازال على منهج أهل الحق الصادعين بالحق الثائرين على الباطل رغم ظلام الظالمين وبطش الجبارين؟! وهل ما يقال من تقارب الشيخ مع مدير السجن وشدته على الإخوة صحيح؟! وما هي علاقتكم الحالية بالشيخ أو: بالأصح ما هي علاقة الشيخ بكم معشر أهل التوحيد والجهاد؟! هل هناك مشاكل لا قدر الله؟ وما طبيعة الخلاف إن كان هناك خلاف؟! حقيقة هذه أسئلة مهمة لي أنا العبد الفقير لأكون على بينة وبصيرة من أمري وكما طلب شيخنا الأردني منكم الدعاء فانا أطلبه أيضاً وزيادة وفقكم الله ورفع قدركم في الدارين سلامي إلى جميع الأحبة عندكم فرداً فرداً.

الجواب:

قال أبو الفضل عمر الحدوشي: وأحب أن أذكر هنا أخانا الداعية، وولدتا الكاتب الواعية يوسف الأردني-قبل الجواب- بما جاء في كتابي: (الإتحاف) (ص: ٩٥٤/٩٥٩) تحت عنوان: (إخبار الطالب بمنازل ومراتب الطلب)، أو: (كيف تطلب العلم؟)، أو: (كيف تصير عالماً؟) ثم أوردت كلاماً يصح أن يكون فذلكة ومقدمة بين يدي جواب الشيخ الشاب السائل-كما أسلفت-والواعية الأصيل، وهذا نصه التذكير، جناب الأستاذ يوسف الأردني-رعاك الله وسدد خطاك، وفرج

كربتك-أخاطبك بهذه الآداب وأذكرك بها، والمراد به غيرك من باب: (إياك أعني وافهم يا جارتي)، أما أنت فيظهر لي من خلال مرقومك أنك في سماء الأدب: (... قال عمر بن العلاء:

١-أول العلم: الصمت.

٢-ثم حسن السؤال ١٢.

٣-ثم حسن الاستماع ١٣.

٤-ثم حسن الحفظ.

٥-نشره عند أهله ١٤.

د-قال العلامة المحقق ابن القيم: (للعلم ست مراتب:

١-أولها: حسن الفهم.

٢-الثانية: حسن الإنصات والاستماع.

٣-الثالثة: حسن الفهم.

٤-الحفظ.

٥-الخامسة: التعليم.

السادسة: وهي ثمرته وهي العمل به ومراعاة حدوده ١٥.

ومن الناس من يُحرمه لعدم حسن سؤاله إما لأنه لا يسأل أو: يسأل عن شيء وغيره أهم إليه منه كمن يسأل عن فضوله التي لا يضر جهله بها ويدع ما لا غنى له عن معرفته وهذه حال كثير من الجهال المتعلمين، ومن الناس من يحرمه لسوء إنصاته فيكون الكلام والمماراة أثر عنده وأحب إليه من الإنصات وهذه آفة كامنة في أكثر النفوس الطالبة للعلم وهي تمنعهم علماً كثيراً ولو كان حسن الفهم...).

ثم قال: (والمقصود ببيان حرمان العلم من هذه الوجوه الستة:

١-الوجه الأول: ترك السؤال.

٢-الثاني: سوء الإنصات وعدم إلقاء السمع.

٣-الثالث: سوء الفهم.

٤-الرابع: عدم الحفظ.

٥-الخامس: عدم نشره وتعليمه، فإن من خزن علمه ولم ينشره ولم يعلمه ابتلاه الله بنسيانه وذهابه ١٦ منه جزاءً من جنس عمله وهذا أمر يشهد به الحس والوجود.

٦-السادس: عدم العمل به، فإن العمل به يوجب تذكره وتدبره ومراعاته ١٧ والنظر فيه فإذا أهمل العمل به نسيه ١٨.

وبرهان هذه المراتب قوله تعالى: (والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

قال الإمام الشافعي-رحمه الله تعالى:- (لو فكر الناس في هذه السورة لكفتهم). وفي رواية: (لو ما أنزل الله تعالى على خلقه حجة إلا هذه السورة لكفتهم).

وقد قال ابن القيم في تفسيره وبيان معاني هذه السورة: (إن المراتب أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كمالها:

١-أحدها: معرفة الحق.

٢- الثانية: عمله له.

٣- الثالثة: تعليمه من لا يحسنه.

٤- صبره على تعلمه العمل به وتعليمه.

فذكر تعالى: المراتب الأربعة في هذه السورة وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر أن كل أحد في خسر:

١- إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به فهذه مرتبة.

٢- وعملوا الصالحات وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه مرتبة أخرى.

٣- وتواصوا بالحق ووصى به بعضهم بعضاً تعليماً وإرشاداً فهذه مرتبة ثالثة.

٤- وتواصوا بالصبر صبروا على الحق ووصى به بعضهم بعضاً بالصبر عليه والثبات فهذه مرتبة رابعة.

وهذا نهاية الكمال فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه مكماً لغيره وكمالاً بإصلاح قوته:

١- العلمية،

٢- والعملية،

فصلاح القوة العلمية بالإيمان، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكميله... بتعليمه إياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل.

فهذه السورة على اختصارها هي أجمع سور القرآن للخير بحذافيره والحمد لله الذي جعل كتابه كافياً عن كل ما سواه شافياً من كل داء هادياً إلى كل خير).

وقد نظم هذه المراتب العلامة محمد بن علي، الأديب أبو الفتح سبط التطنزي:

يا طالباً للعلم كي تحظى به ديناً ودنيا حظوةً تُعليه

اسمعه ثم احفظه ثم اعمل به لله ثم انشره في أهليه ٢٠

وقد جمع هذه المراتب في البيت الثاني:

اسمعه ثم احفظه ثم اعمل به لله ثم انشره في أهليه

وهي كالتالي:

١- اسمعه،

٢- ثم احفظه،

٣- ثم اعمل به لله،

٤- ثم انشره في أهليه، وقد ذكر حافظ المغرب ابن عبد البر لوماً شديداً ونقداً لاذعاً وفائدة ونصيحة مشبكة بحروف الذهب لطالب العلم الشرعي المغربي بالخصوص فقال: (اعلم-رحمك الله- أن طلب العلم في زماننا هذا وفي بلدنا قد حاد أهله عن طريق سلفهم وسلوكوا في ذلك ما لم يعرفه أئمتهم. وابتدعوا في ذلك ما بان به جهلهم وتقصيرهم عن مراتب العلماء قبلهم:

١- فطائفة منهم تروي الحديث وتسمعه وقد رضيت بالدؤوب في جمع ما لا تفهم ٢١، وقنعت بالجهل في حمل ما لا تعلم، فجمعوا الغث والسمين، والصحيح والسقيم، والحق والكذب في كتاب واحد، وربما في ورقة واحدة، ويدينون

بالشيء وضده، ولا يعرفون ما في ذلك عليهم، قد شغلوا أنفسهم بالاستكثار عن التدبر والاعتبار فألستهم تروي العلم، وقلوبهم قد خلت من الفهم، غاية أحدهم معرفة الكتب الغريبة والاسم الغريب أو: الحديث المنكر، وتجده قد جهل ما لا يكاد يسع أحداً جهله من علم صلاته وحجه وصيامه وركاته.

٢- وطائفة هي في الجهل كذلك أو: أشد، لم يعتوا بحفظ سنة ولا الوقوف على معانيها ولا بأصل من القرآن ولا اعتنوا بكتاب الله جل وعز فحفظوا تنزيله، ولا عرفوا ما للعلماء في تأويله، ولا وقفوا على أحكامه، ولا تفقهوا لا في حلاله ولا حرامه، قد اطرحوا علم السنن والآثار وزهدوا فيهما وأضربوا عنها، فلم يعرفوا الإجماع من الاختلاف ولا فرقوا بين التنازع والاتلاف-بل: عوّلوا على حفظ ما دُوّن لهم من الرأي والاستحسان الذي كان عند العلماء آخر العلم والبيان-وكان الأئمة ييكون على ما سلف وسبق لهم فيه ويودون أن حظهم السلامة منه).

قال الإمام ابن عبد البر-رحمه الله تعالى:- (طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف-رحمهم الله-، ومن تعدى سبيلهم عامداً ضل، ومن تعداه مجتهداً زل).

فأول العلم: حفظ كتاب الله عز وجل وتفهمه، وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه، ولا أقول: إن حفظه كله فرض، ولكني أقول: إن ذلك شرط لازم على من أحب أن يكون عالماً فقيهاً ناصباً نفسه للعلم ليس من باب الفرض) ٢٢.

وقال البغوي-رحمه الله تعالى:- (لأنني رأيت أعلام الدين عادت إلى الدروس وغلب على أهل الزمان هوى النفوس فلم يبق من الدين إلا الاسم ولا من العلم إلا الرسم، حتى تُصور الباطل عند أكثر أهل الزمان بصورة الحق والجهل بصورة العلم-وظهر فيهم تحقيق قول الرسول-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" ٢٣).

ولما كان الأمر على ما وصفته لك، أردت أن أجدد لأمر العلم ذكراً، لعله ينشط فيه راغب متنبه، أو: ينبعث له واقف متبسط، فأكون كمن يسعى لإيقاد سراج في ظلمة مطبقة فيهدي به متحيراً ويقع على الطريق مسترشداً، فلا يخيب من الساعي سعيه، ولا يضيع حظه) ٢٤.

قال العلامة الأصولي الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي-رحمه الله تعالى:- (المسألة الأولى: إن السؤال أن يقع من عالم أو: غير العالم المقلد، وعلى كلا التقديرين، إما أن يكون المسئول عالماً أو: غير عالم، فهذه أربعة أقسام:

١-الأول: سؤال العالم للعالم، وذلك في المشروع ٢٥ يقع على وجوه، كتحقيق ما حصل، أو: رفع إشكال عن له، وتذكر ما خشي عليه النسيان، أو: تنبيه المسئول على خطأ يورده مورد الاستفادة، أو: نيابة منه عن الحاضرين من المتعلمين، أو: تحصيل ما عسى أن يكون فاته من العلم) ٢٦.

٢-والثاني: سؤال المتعلم لمثله، وذلك أيضاً يكون على وجوه، كمذاكرته له بما سمع، أو: طلبه منه ما لم يسمع مما سمعه المسئول قبل لقاء العالم، أو: التهدي بعقله إلى فهم ما ألقاه العالم.

٣-والثالث: سؤال العالم للمتعليم، وهو على وجوه كذلك، كتنبيهه على موضع إشكال يطلب رفعه، أو: اختيار عقله أين بلغ، والاستعانة بفهمه إن كان لفهمه فضل، أو: تنبيهه ٢٧ على ما علم ليستدل به على ما لم يعلم.

٤-والرابع: وهو الأصل الأول، سؤال المتعلم للعالم، وهو يرجع إلى طلب علم ٢٨ ما لم يعلم.

فأما الأول، والثاني، والثالث، فالجواب عنه مستحق ٢٩ إن علم، ما لم يمنع من ذلك عارض ٣٠ معتبر شرعاً، وإلا، فالاعتراف بالعجز.

وأما الرابع، فليس الجواب عنه بمستحق بإطلاق، بل: فيه تفصيل، فيلزم الجواب إذا كان عالماً بما سئل عنه متعيناً ٣١ عليه في نازلة واقعة ٣٢، أو: في أمر فيه نص ٣٣ شرعي بالنسبة إلى المتعلم، لا مطلقاً، ويكون السائل ممن يحتمل عقله الجواب، ولا يؤدي السؤال إلى تعمق ولا تكلف، وهو مما يبنى عليه عمل شرعي، وأشباه ذلك، وقد لا يلزم الجواب في مواضع، كما إذا لم يتعين عليه، أو: المسألة اجتهادية ٣٤ لا نص فيها للشارع، وقد لا يجوز، كما إذا لم يحتمل ٣٥ عقله الجواب، أو: كان فيه تعمق، أو: أكثر من السؤالات التي هي من جنس الأغاليط، أو: فيه نوع اعتراض... ٣٦.

وقلت أيضاً في: (الإتحاف) (ص: ١٠٣٧/١٠٤٦) ما نصه: (وقد ذكر العلماء في كتب المصطلح آداباً لطالب العلم مع شيوخه، ووالديه، وإخوانه، وزوجه، وأبنائه، وأصهاره، وزملائه وأصدقائه، وجيرانه، وغيرها، كما ذكروا آداباً للشيخ مع طلبته وتلامذته أذكر منها بعضها هنا في هذا السفر:

١- التملق في الطلب لشيخك:

ونعني بالتملق: التودد والتلطف مع شيخك ومعلمك، وإياك ومجادلتك بوقاحة وبقلّة أدب وفي مثل هذا

١- يقول حبر الأمة عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-: (ذلت طالباً فعززت مطلوباً) ٣٧.

٢- قال معاذ بن جبل-رضي الله عنه-موقوفاً عليه: (ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم) ٣٨.

٣- وقال شعبة-رحمه الله تعالى-: (من كانت عنده أربعة أحاديث: فأنا خادمه) ٣٩.

وقال أيضاً-رحمه الله تعالى-: (كل من سمعت منه حديثاً فأنا له عبد) ٤٠.

٤- قال بعض الحكماء: (من لم يحتمل ذل التعليم ساعة بقي في ذم الجهل أبداً) ٤١.

اعلم-أخي طالب العلم-أن للمتعلم في زمان تعلمه تملقاً وتذلاً إن استعمله-الطالب مع أستاذه-غنى وإن تركه ندم.

لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه والتذلل له سبب لإدامة صبره، ويظهر مكنونه تكون الفائدة وباستدامة صبره يكون الإكثار ٤٢.

٥- قال ابن جماعة الكنايني-رحمه الله تعالى-: (... ليعلم طالب العلم أن ذله لشيخه عز، وأن خضوعه له فخر، وتواضعه له رفعة، وعلى طالب العلم أن ينظر إلى شيخه بعين الإجلال، فإن ذلك أقرب إلى نفعه به، وكان بعض السلف إذا ذهب إلى شيخه تصدق بشيء وقال: اللهم استر عيب شيخني عني، ولا تُذهِبْ بركة علمه مني) ٤٣.

٦- وقد ذكر الإمام الشعبي-رحمه الله تعالى-أنه قال: (صلى زيد بن ثابت على جنازة، ثم قربت له بغلة ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال له زيد: خلّ عنه يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس-رضي الله عنهما-: هكذا يفعل بالعلماء والكبراء) ٤٤.

٧- وكان الشافعي آية في الأدب مع شيوخه ٤٥ والتذلل والتملق لهم، حتى عوتب في ذلك، فقال:

أهين لهم نفسي فهم يكرمونها ولن تُكْرِمَ النفس التي لا تهينها ٤٦

٨- وذكر النووي أن إمامه الشافعي-رحمهما الله تعالى-قال: (كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحاً رقيقاً هيبه له؛ لنلا يسمع وقعها) ٤٧.

وصدق من قال: "ازرع تحصد"، مهما تأدبت مع شيخك تأدب معك تلامذتك، (والجزاء من جنس العمل).

نعم-والله-قد تأدب الإمام الشافعي مع شيوخه وتأدب معه تلامذته، وهذه بعض النماذج من ذلك:

٩-يقول الربيع بن سليمان تلميذ الشافعي-رحمه الله تعالى:- (والله ما اجتأأت أن أشرب الماء، والشافعي ينظر؛ هيبة له) ٤٨.

ولله در القائل:

طهرتم فطهرنا بفاضل طهركم وطبتم فمن أنفاس طيبكم طينا

١٠-وهذا جبل السنة، وإمام الجماعة أحمد بن حنبل-يدعو لشيخه الشافعي أربعين سنة في كل صلاة يصلحها ويسمعه ابنه فيسأله من يكون هذا الشافعي الذي تخصصه بالدعاء في كل صلاة-فيجيبه قائلاً هو: (كالشمس للدين، وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف؟ أو: منهما من عوض؟) ٤٩.

١١-وقال عمرو الناقد-رحمه الله تعالى:- (كنا عند وكيع، وجاء أحمد بن حنبل فقعد، وجعل يصف من تواضعه بين يديه، قال عمرو: فقلت: يا أبا عبد الله، إن الشيخ يحترمك فما لك لا تتكلم؟ قال: وإن كان يكرمني فينبغي لي أن أجله).

١٢-وقال قتيبة بن سعيد-رحمه الله تعالى:- (قدمت بغداد، وما كان لي همة إلا أن ألقى أحمد بن حنبل-رحمه الله تعالى-، فإذا هو قد جاءني مع يحيى بن معين، فتذاكرنا، فقام أحمد بن حنبل، وجلس بين يدي وقال: أمل علي هذا، ثم تذاكرنا، فقام أيضاً وجلس بين يدي، فقلت: يا أبا عبد الله، اجلس مكانك، فقال: لا تشتغل بي، إنما أريد أن آخذ العلم على وجهه).

١٣-قال إسحاق الشهيد-رحمه الله تعالى:- (كنت أرى يحيى القطان يصلي العصر، ثم يستند إلى أصل منارة المسجد، فيقف بين يديه علي بن المديني، والشاذكوني، وعمرو بن علي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهم يستمعون الحديث، وهم قيام على أرجلهم، إلى أن تحين صلاة المغرب، لا يقول لأحد منهم: اجلس، ولا يجلسون هيبة وإعظاماً). ١٤-وقال خلف-رحمه الله تعالى:- (جاءني أحمد بن حنبل، يسمع حديث أبي عوانة، فاجتهدت أن أرفعه فأبى وقال: لا أجلس إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه) ٥٠.

وقد تأدب الإمام أحمد مع شيوخه وتأدب معه تلامذته، وهذه بعض النماذج من ذلك:

١٥-قال أبو عبيد القاسم بن سلام-رحمه الله تعالى:- (جالست أبا يوسف، ومحمد بن الحسن، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، فما هبت أحداً منهم، ما هبت أحمد بن حنبل) ٥١.

١٦-وقال عبدوس-رحمه الله تعالى:- (رآني أبو عبد الله يوماً وأنا أضحك، فأنا استحييه إلى اليوم).

١٧-وما أروع ما قاله أبو حنيفة في آداب القوم وأخلاقهم بصفة عامة: (الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحب إلي من كثير من الفقه، لأنها آداب القوم وأخلاقهم) ٥٢.

١٨-وقد أجاد الحافظ السخاوي حين قال: (إنما الناس بشيوخهم، فإذا ذهب الشيوخ فمع من العيش؟).

١٩-وقال الإمام الحافظ الورع النووي-رحمه الله-في: (المجموع)-وهو يتأدب مع شيوخه:- (أجدادنا في سلسلة الفقه).

٢٠-وقال أيضاً الحافظ الورع الزاهد الإمام الهمام النووي-رحمه الله تعالى-في: (تهذيبه): (إنهم أئمتنا وأسلافنا كالوالدين) ٥٣.

ويؤيد هذا ما جاء في: (الصحيح) من رواية أبي هريرة-رضي الله تعالى-قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: (... إنما أنا لكم مثل الوالد لولده)، وفي لفظ: (بمنزلة الوالد أعلمكم).
ولله در شاعرنا العربي حين قال:

أَفْضَلُ أَسْتَاذِي عَلَى فَضْلِ وَالِدِي وَإِنْ نَأَلْنِي مِنَ وَالِدِي الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ
فهذا مربي الروح والروح جوهراً ٥٤ وذاك مرئي الجسم والجسم كالصَّدفِ

وقال بعضهم:

صحبة يوم نسب قريب وذمة يعرفها اللبيب ٥٥

ولقد قعد السلف رضوان الله عليهم قاعدة جامعة في: (إذلال أهل العلم للعلم) فقالوا: (العلم يُسعى إليه ولا يسعى إلى أحد).

٢١- وقال الأصمعي-رحمه الله تعالى-: (من لم يحتمل ذل التعليم ساعة، بقي في ذل الجهل أبداً) ٥٦.
وقال بعض السلف الصالح: (من لم يصبر على ذل التعليم بقي عمره في عمَاية الجهالة، ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الدنيا والآخرة) ٥٧.
وأنشد بعضهم:

لا تنكرن لسوء خلق عالماً واعذره في عذر احتمال أذاً
فالعلم أحرى بالدلال لأهله وأجل من أن يستميل هواً ٥٨

فكثير منا في هذا الزمان كما قال بعض السلف الصالح: (أحوج إلى كثير من الأدب ٥٩ منا إلى قليل من العلم).
فدونك الأدب فتعلم واعمل هذه الجادة فأين السالك ٦٠

٢٢- وقال بلال بن أبي بردة-رحمه الله تعالى-: (لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا) ٦١.
٢٣- قال عبد الله ابن الإمام أحمد-رحمهما الله تعالى-: أخبرنا أبي، قال: (سمعت أبا يوسف القاضي يقول: "خمسـة يجب على الناس مداراتهم:

١-الملك المتسلط،

٢-والقاضي المتأول،

٣-والمرضى،

٤-والمرأة،

٥-والعالم يُقْتَبَسَ من علمه"، فاستحسن ذلك منه) ٦٢.

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني-رحمه الله تعالى-: (لا تهربوا من خشونة كلامي، فما رباني إلا الخشن في دين الله عز وجل، ومن هرب مني ومن أمثالي.. لا يفلح) ٦٣.
ولله در القائل:

إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يُكرّما
فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه واقنع بجهلك إن جفوت معلما

قال الإمام مالك للرشيد-رحمهما الله تعالى-: (أدركت أهل العلم يُؤتون، ولا يأتون، ومنكم خرج العلم، وأنتم أولى الناس بإعظامه، ومن إعظامه له ألا تدعوا حملته على أبوابكم) ٦٤.

وروى الخطيب-رحمه الله-بسنده عن حمدان ابن الأصبهاني-رحمه الله تعالى-قال: (كنت عند شريك، فأتاه بعض ولد المهدي، فاستند إلى الحائط، وسأله عن حديث، فلم يلتفت إليه، فأعاد عليه، فلم يلتفت إليه. فقال: كأنك تستخف بأولاد الخلافة.

قال: لا، ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضيّعوه. قال: فجئنا على ركبته، ثم سأله، فقال شريك: هكذا يُطلب العلم) ٦٥.

وأخرج الخطيب أيضاً عن إبراهيم بن إسحاق الحربي قال: (كان عطاء بن أبي رباح عبداً أسوداً لامرأة من مكة، وكان أنفه كأنه باقلاقة).

قال: وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج، وقد حوّل قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوما، فقاما. وقال: يا بني، لا تنيا في طلب العلم، فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود) ٦٦.

وقال العلامة محمد أحمد إسماعيل المقدم-حفظه الله تعالى-في كتابه النافع: (حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢١/٢٢٣) تحت الفصل الخامس: (آداب السؤال): (ينبغي لطالب العلم أن يلاطف شيخه في المسألة، ويرفق به، ويخاطبه بالسؤدد والتفدية، ويديم الدعاء له، والتأديب معه، فإن ذلك خير سبيل إلى بلوغ أغراضه منه، قال المستظهر: "أدب السائل أنفع من الوسائل" ٦٧.

وعن وهب بن منبه، وسليمان بن يسار أنهما قالوا: "حسن المسألة نصف العلم، والرفق نصف العيش" ٦٨.
والأدب خير وسيلة لاستدرا علم الأستاذ: قال ابن جريج: "لم استخرج الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي به" ٦٩.
وقال الأصمعي-رحمه الله تعالى- ٧٠:

لم أرَ مثلَ الرفق في أمره أخرج العذراء من خدرها
من يستعن بالرفق في أمره قد يُخرج الحية من جحرها) ٧١.

وقد قيل: "ليس من أخلاق المؤمن التملُّق ولا الحسد، إلا في طلب العلم" ٧٢.
وعن محمد بن عبد الرحمن الطرائفي قال: (حضرتُ بدمشق عند ابن جوصا، فجعلت أتملقه، أيها الشيخ، مثلك مثل ما قال كثيرٌ عزة:

وإذا الدُرُّ زان حُسْنَ وجوه كان للدُرِّ حُسْنُ وجهك زِيناً
وتزیدن أطيّبَ الطيبِ طيباً إن لمَسْتِه أين مثلك أينا

فقال: "هَوْن عليك، نا إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: "لا يَغُرُّ المدحُ من عرف" ٧٣.

وعن علي بن حرب قال: حدثني أبي قال: (كنا في مجلس سفيان بن عيينة، فضَجَرَ، فقام من مجلسه، فقام إليه رجل من أقصى المجلس، فقال: "يا أبا محمد، أنت غاية الناس وطلبهم، وإن الرجل ليريد الحج، وما ينشط إلا إلى لقاءك، فجلس وأنشأ يقول:":

خَلَّتِ الدِيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّودِّ ٧٤

فإذا حُرِمَ الرفق، فاته من العلم ما يتحسر عليه.

قال الزهري-رحمه الله تعالى:- (كان أبو سلمة يسأل ابن عباس-رضي الله عنهما-(لا يلفظ في السؤال)، قال: فكان يخزن ٧٥ عنه، قال: وكان عبيد الله بن عبد الله يلاطفه ٧٦، فكان يَغْرِه غَرًّا) ٧٧.

وقال الإمام الشعبي-رحمه الله تعالى:- (كان أبو سلمة يماري ابن عباس-رضي الله عنهما-، فحرم بذلك علماً كثيراً)... وقد قال أبو سلمة نفسه: (لو رفقت بابن عباس لاستخرجت منه علماً كثيراً) ٧٨...).

وهذا النقل الطيب أردت به تذكير نفسي وأبنائي وطلبتي أن يتأدبوا مع شيوخهم في السؤال إن شاءوا استخراج العلوم الكثيرة من رؤوس شيوخهم-أما أنا فمجرد طالب علم ليس إلا-والإكثار من السؤال للتعلم محمود وللتعالم والامتحان مذموم.

وقلت أيضاً في: (الإنحاف) (ص: ١٠٤٦/١٠٥٣) ما نصه: (ما هي الآداب في لسان العلماء؟

ثم اعلم أن الأدب: لفظ جامع للفضائل والأخلاق الكريمة، التي تؤدي إلى المحامد، وهذه بعض الأمثلة:

١-قال أبو زيد الأنصاري-رحمه الله تعالى:- (الأدب يقع على كل رياضة محمودة، يخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل).

٢-قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله تعالى:- (الأدب: استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً، وعَبَّرَ بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل: الوقوف مع المستحسنات، وقيل: بل: هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك ٧٩، وقيل: إنه مأخوذ من "المأدبة"، وهي الدعوة إلى الطعام، سُمِّيَ بذلك؛ لأنه يُدعى إليه) ٨٠.

٣-قال الإمام الخطيب البغدادي-رحمه الله تعالى:- (والواجب أن يكون طلبة الحديث أكمل الناس أدباً، وأشد الخلق تواضعاً، وأعظمهم نزاهة وتديناً، وأقلهم طيشاً وغضباً، لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-وآدابه، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه، وطرائق المحدثين، ومآثر الماضين، فيأخذوا بأجملها وأحسنها، ويصدفوا عن أرذلها وأدونها...).

٤-قال ابن شهاب-رحمه الله تعالى:- (إن هذا العلم أدب الله الذي أدب به نبيه-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-، وأدب النبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-أمته، أمانة الله إلى رسوله، ليؤديه على ما أَدَّى إليه، فمن سمع علماً، فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل) ٨١.

٥-وعن سفيان بن عيينة-رحمه الله تعالى-أنه كان يقول: (إن رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-هو الميزان الأكبر، فعليه تعرض الأشياء، على خلقه وسيرته وهديه ٨٢، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل) ٨٣.

٦-وعن ابن وهب قال: سمعت مالكا-رحمهما الله تعالى-يقول: (إن حقاً على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبوعاً لأثر من مضى قبله) ٨٤.

- ٧- وقال خالد بن نزار: سمعت مالك بن أنس يقول لفتى من قريش: (يا ابن أخي، تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم) ٨٥.
- ٨- وعنه أن رجلاً قال لرجل من أهل السنة سألته عن طلب العلم، فقال له: (إن طلب العلم يحسم، لكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح حتى تمسي، ومن حين تمسي حتى تصبح، فالزمه، ولا تؤثرن عليه شيئاً) ٨٦.
- ٩- وعن ثابت بن محمد قال: سمعت الثوري يقول: (إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر؛ فافعل).
- ١٠- وقال الخطيب أيضاً: (ينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة أمورهِ عن طرائق القوم باستعمال آثار رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه، فإن الله تعالى يقول: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ٨٧.
- وقال ابن جماعة - رحمه الله -: (ولا يقرأ عند شغل قلب الشيخ أو: ملله، أو: غمه، أو: غضبه، أو: جوعه، أو: عطشه، أو: نعاسه، أو: استيفازه، أو: تعبته) ٨٨.
- وقال الشهرزوري: (ولا يسأله وهو قائم، أو: مستوفز، وعلى حالة ضجر، أو: هم به، أو: غير ذلك مما يشغل القلب) ٨٩.
- وقال الخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى -: (وإن رآه في همٍّ قد عرض له، أو: أمر يحول بينه وبين لُبِّهِ، ويصدّه عن استيفاء ذكره، أمسك عنه، حتى إذا زال ذلك العارض، وعاد إلى المألوف من سكون القلب، وطيب النفس، فحينئذ يسأله...) ٩٠.
- وعن قتادة - رحمه الله تعالى -: قال: (سألت أبا الطفيل عن مسألة، فقال: "إن لكل مقام مقالاً" ٩١، ولقي رجلاً عالماً في السوق يشتري، فأراد أن يسأله، فقال له: "إن عقلي مع دراهمي".
- وعن عطاء بن السائب - رحمه الله تعالى -: قال: "كان عبد الرحمن بن أبي ليلى يكره أن يُسأل وهو يمشي" ٩٢.
- وقال ابن جماعة - رحمه الله تعالى -: ولا تسأل عن شيء في غير موضعه إلا لحاجة، أو: علمٍ يباثِر الشيخ ذلك) ٩٣.
- ١١- وقال أيوب بن سويد - رحمه الله تعالى -: سمعت الثوري يقول: (كان يقال: حسن الأدب، يطفى غضب الرب عز وجل) ٩٤.
- ١٠- وقال البوشنجي - رحمه الله تعالى -: (من أراد العلم والفقه بغير أدب، فقد اقتحم أن يكذب على الله ورسوله) ٩٥.
- ١١- وقال الإمام المجاهد سيدنا الهمام عبد الله بن المبارك - رحمه الله تعالى، ونفعنا بعلومه وجهاده: (من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة) ٩٦.
- وقال أيضاً - رحمه الله تعالى -: (إذا وُصف لي رجلٌ له علم الأولين والآخرين، لا أتأسف على فوت لقائه، وإذا سمعت رجلاً له أدب النفس أتمنى لقاءه، وأتأسف على فوته) ٩٧.
- ١٢- قيل للشافعي - رحمه الله تعالى -: (كيف شهوتك للأدب؟) فقال: (أسمع بالحرف منه مما لم أسمع، فتود أعضائي أن لها أسمعاً فتتعم به). قيل له: (وكيف طلبك له؟) قال: (طلب المرأة المُضِلَّة ولَدَها وليس لها غيره). وفي رواية قال ابن أبي حاتم: سمعت المزني يقول: قيل للشافعي: (كيف شهوتك للعلم؟)، قال: أسمع بالحرف - أي: بالكلمة - مما لم أسمع، فتود أعضائي أن لها أسمعاً تنعم به مثل ما تنعمت به الأذنان).
- فقيل له: (كيف حرصك عليه؟)، قال: (حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال).
- فقيل له: (فكيف طلبك له؟)، قال: (طلب المرأة المُضِلَّة ولَدَها ليس لها غيره) ٩٨.

١٣- قال الإمام سفيان الثوري-رحمه الله تعالى:- (كان الرجل إذا أراد أن يكتب الحديث تأدب، وتعبد قبل ذلك بعشرين سنة) ٩٩.

قال الحسن-رحمه الله تعالى:- (إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم السنتين) ١٠٠.

١٤- وقال رؤيم بن أحمد البغدادي لابنه: (يا بني اجعل عملك ١٠١ ملحاً، وأدبك دقيقاً) ١٠٢. أي: استكثر من الأدب حتى تكون نسبته في سلوكك من حيث الكثرة كنسبة الدقيق إلى الملح الذي يوضع فيه، فمعنى عبارة رؤيم: أن الإكثار من الأدب في العمل القليل، خير من العمل الكثير الخاوي والخالى عن الأدب ١٠٣.

واستحضر-أيها الطالب-نصب عينيك وأنت تتجهّد في طلب العلم الشرعي، علم الكتاب والسنة الصحيحة، بعد أن تحصل علوم الآلة، من نحو، وصرف، وبلاغة، ووضع ومناظرة، وفقه، وأصوله، وتفسير، وقواعده وأسبابه، وحديث وشرحها وسببها ١٠٤:

١- قول سيدنا الحبيب محمد-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:- (أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق) ١٠٥.

٢- وقول نبينا وحبينا محمد-عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام:- (أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن) ١٠٦.

٣- وقوله-عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام:- (بعثت لأتمم مكارم-أو: صالح-الأخلاق) ١٠٧.

٤- قال أسامة حب حب رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:- قلنا يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان؟ فقال: (خلق حسن) ١٠٨. ونحوها من النصوص الصحيحة التي تحت على مكارم الأخلاق.

قالت أم الفضل في كتابها: (للنساء فقط) (ص: ٧٧٢): (فالأدب مع العلماء هو لب وروح العلم، وقديماً قيل: (اجعل أدبك دقيقاً وعلمك ملحاً)، أي: ينبغي أن يكون أدبك أكثر من علمك، وليس العكس. حتى تنتفع به وينتفع بك الناس) ١٠٩.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب-رضي الله تعالى عنه:- (...)"تأدبوا ثم تعلموا"، وقال ابن عباس-رضي الله عنهما:- "اطلب الأدب فإنه زيادة في العقل، ودليل على المروءة، ومؤنس في الوحدة، وصاحب في الغربة، ومال عند القلة" ١١٠. وقال أبو عبد الله البلخي-رحمه الله تعالى:- "أدب العلم أكثر من العلم"، وقال الإمام عبد الله بن المبارك-رحمه الله تعالى:- "لا يَبُلُ الرجل بنوع من العلم ما لم يزين علمه بالأدب"، وقال أيضاً-رحمه الله تعالى:- (طلبت العلم فأصبت منه شيئاً، وطلبت الأدب فإذا أهله قد بادوا).

وقال بعض الحكماء: "لا أدب إلا بعقل ولا عقل إلا بأدب"، وكان يقال: "العون لمن لا عون له الأدب"، وقال الأحنف ابن قيس-رحمه الله تعالى:- "الأدب نور العقل كما أن النار نور البصر".

وقال الحجاوي: "يقال: مثل الإيمان كمثل بلدة لها خمس حصون، الأول من ذهب، والثاني من فضة، والثالث من حديد، والرابع من آجر، والخامس من لبن، فما زال أهل الحصن متعاهدين حصن اللبن لا يطمع العدو في الثاني فإذا أهملوا ذلك طمعوا في الحصن الثاني، ثم الثالث، حتى تخرب الحصون كلها، فكذلك الإيمان في خمس حصون: اليقين، ثم الإخلاص، ثم أداء الفرائض، ثم السنن، ثم حفظ الأدب، فما دام يحفظ الآداب ويتعاهدها فالشيطان لا يطمع فيه وإذا ترك الآداب طمع الشيطان في السنن ثم في الفرائض، ثم في الإخلاص، ثم في اليقين" ١١١.

قال جامع المسجون في سبيل عقيدته في سجون الظالمين عمر بن مسعود الحدوشي-في واجب التأدب مع الشيخ-من الخفيف:

أيهما الطالب المُجِدُّ سَلامًا لك من ناصحٍ يَصُونُ الدِّمَامَا
الزَّمَنُ مَعَ شَيْخِكَ طِيبِ سُلُوكِ تَغْنَمُ الشُّجَحَ بَلْ: تَسُودُ الْأَنَامَا
وَأَجْعَلُنْ عِلْمَكَ مِلْحًا وَدَقِيقًا تَلْكُمُ الْأَدَابُ تُحَاكِي طَعَامَا
قِلَّةُ الْعِلْمِ صَاحِبِي مَعَ كَثِير من أدبٍ طَلَبَتْهُ لِمَنْ يَتَسَامَا ١١٢
لَكَ أَذْنَانِ وَلِسَانٌ وَحِيدٌ فَاسْمَعْنِ شَتَّى وَانْطَقْنِ لِمَامَا ١١٣

وبعد هذه الجولة المختصرة والمحتشمة أقف برهة من الزمن مع نظم الناظم، وسؤال السائل ليكون الجواب مطابقاً للسؤال، ويكون الجواب ذكراً كالسؤال، وتحفة للسائل والمجيب، وروضة للحاضر والغائب، وحنة للمقيم والغريب، وتذكرة مفيدة للسائل النجيب، ومنحة في فهم السنة والكتاب، وباباً للصديق الصادق الأديب، وهدية للكاتب الأريب، والأردني الحبيب أقول- في هذه الموازنة والمساجلة التي خرجت من بين فرث ودم- ملخصاً فيها أسئلة الشيخ الشاب الأردني الحبيب- فرج الله عنا وعنه- في هذه الأبيات إلى أن أجد وقتاً لأجيبه بتفصيل وتحصيل وتدقيق وتأصيل- إن شاء الله تعالى- ونظم أفضل وأوسع وأطول:

إني وجدتُ العلمَ نبعاً يُجْتَبَى مِنْهُ الرِّشَادُ عَلَى الطَّرِيقِ الْبَاهِي
وَالْجَهْلُ ظُلُمَاتٍ هُنَالِكَ أُطِيقَتْ قَدْ صَلَّ فِيهَا عَاقِلٌ وَاللَّاهِي
فَارِباً بِنَفْسِكَ أَنْ تَصِيرَ مُفَرِّطاً أَوْ: مُفَرِّطاً فِي عَالَمِ الْأَشْبَاهِ
الْبَيْعَ فَلْتَرْبَحْ وَلَا تَكُ مُفْلِساً يَوْمَ اللَّقَاءِ كَفَاغِرِي الْأَفْوَاهِ

السؤال الأول: ما حكم استنقاذ الأسير من أسير مثله ومعه؟.

وهل هناك مصلحة راجحة بهروب سجين مسلم في حين تكون مفسدة على باقي السجناء من تضيق ومنع كثير من الامتيازات، وربما يؤثر هذا الهروب على زيارة الأهل لسجنائهم، وعلى حد تعبيرهم قد يكون انقطاع الأهل عن الزيارة فتنة للأهل وذويهم من السجناء... أفيدونا في حساب المصالح والمفاسد الشرعية حفظكم الله تعالى. وأقول في الجواب على السؤال الأول: إن هذه المسألة تخضع للمصالح والمفاسد، ولا يخفى عليكم ما قيل في استعانة المخلوق بالمخلوق، كاستعانة السجين بالسجين- فيما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية عن أبي عبد الله القرشي- لو يسعى الإخوة بإخراج إخوانهم بطرق متحضرة لا تؤدي إلى التضيق على إخوانهم وعائلاتهم، وليأخذوا العبرة بتجربتنا في النضالات الكثيرة التي اتبعناها داخل السجون المغربية ومن آخرها الصعود إلى السطوح ١١٤، فقد أتت أكلها، وقد قلت في الجواب على هذا السؤال ما نصه:

إِن الْأَسِيرَ إِذَا أَتَى مُسْتَقْدَاً أَسِيراً سِوَاهُ بِعَزْمَةٍ وَبَدَاهِ
إِنْ كَانَ فِي هَذَا مَصَالِحُ رُجِّحَ لِكُلِّهِمَا لَا بِأَسْ دُونَ كَرَاهِ
وَإِذَا تَرْتَّبَ عَنْهُ مَفْسَدَةٌ فَلَا فَاحْذَرْ مَخَاطِرَ إِنِّي لَكَ نَاهِي

السؤال الثاني: ما التوفيق بين ما يجده أحدهم من انعدام الثقة بأخ له بناء على تجربة سابقة وبين واجب إحسان الظن بالمسلمين وخاصة أهل الجهاد؟ ولو تتفضل علينا بنصيحة عملية رعاك الله تعالى.

وأقول في الجواب على هذا السؤال: إن ما ذكرت من قلة الأدب من بعض الإخوة هي مشكلة المشاكل، ومع ذلك أخي الفاضل: حسن الظن هو المطلوب مع الإخوة، سدد يا شيخ أبا يوسف وقارب، وأنصحك بما كنت قد قلت في قصيدة طويلة أدم بها القاضي الظالم: (لحسن الطلفي) الذي حكم علينا بظلم وجور وإملاءات وتعليمات المخابرات، تحت عنوان: (مَكْرُ العِدَى أضحي رماداً في الهوا):

طَلْفِي بِدُعْ فِي الْقَضَاءِ الْأَعْجَبِ	طَلْفِي عَارٌ فِي جَبِينِ الْمَغْرِبِ
طَلْفِي ذَنْبٌ صَالٌ فِي زِيِّ الْقَضَا	قَدْ بَاعَ دِيناً بِئْسَ مَا قَدْ عَوَّضَا!
بِالْأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ بَاعَ عَقْلَهُ	مَنْ خَالِقُ الْأَكْوَانِ فَارْقُبْ لَعْنَهُ
لَهْفِي عَلَى عَدْلِ الْقَضَاءِ قَدْ مَضَى	لَهْفِي عَلَى الْكَشْحَانِ ١١٩ دُلْ فِي الْقَضَا
وَاسْتَفْحَلَ الظُّلْمُ بِطَلْفِي الزَّرِّي	وَالْحُكْمُ فِي اِتْمَارِهِ أَتَى مِنْ كُنْدَرِ ١٢٠
أَحْكَامِهِمْ فِي أَمْرِكَا قَدْ أَصْدِرَتْ	أَسْرَارَهُمْ مَكْشُوفَةً قَدْ أَظْهَرَتْ
وَاهِياً لِظُلْمٍ جَاءَ مِنْ مَأْبُونِهِمْ	عِيراً ١٢١ النَّصَارَى شَفَّ عَنْ تَهْوِينِهِمْ
خَبٌّ ١١٥ بَزِي الْوَاعِظِ الْفَدْمِ ١١٦ الدَّعِي	إِخْسَاءً ١٢٢ ذَلِيلاً جَاهِلاً وَلْتُخْنَعِ ١٢٣!
إِمَهَالِكُمْ لَيْسَ خِلَاصاً مُطْلَقاً	هِيَهَاتَ يَا أَهْلَ اللَّجَاجِ وَالشَّقَا
مَكْرُ الْعِدَا أَضْحَى رِمَاداً فِي الْهَوَا	مَنْ قُوَّةَ الْحَقِّ عَلَى صَدِّ الْهَوَى
سَدِّدْ وَقَارِبْ أَبْشُرُوا وَاعْتَبِرُوا	وَاسْتَيْقِظُوا مَنْ كِيدِهِمْ لَا تَجَارُوا
لَنْ يُبْلَغَ الْمَجْدُ بِجَهْدِ الظَّالِمِ	لَكِنْ بِقَسْطِطِاسٍ وَعَدْلٍ قَائِمِ
مَنْ لَا يَنَامُ أَيْقِظْ الْخَزِيرَ ١١٧ فِي	أَحْكَامِهِمْ يَا وَيْحَ لِلْمُسْتَضْعَفِ!
خَرْجاً ١١٨ لَذَا قَدْ أَخَذُوا يَا مَنْ ظَلَمَ	يَا أُمَّةٌ قَدْ أَبْعَدَتْ عَمَّا رُسِمَ ١٢٤

جناب الشيخ المحترم القصْدَ القصْدَ تبلغوا، الوحدةَ الوحدةَ تفوزوا، مع أخذ الحيلة والحذر، والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، و(صبراً فكل الصيد في جوف الفراء)، ولا تياسوا فالنصر قادم، وأذكر بقصيدة كنت قلتها بالسجن المركزي بالقيطرة تحت عنوان: (اليأس عنوان الشقاء):

لَا تَيَاسُوا فَالْحَقُّ سَائِلٌ دَافِقٌ	لَا تَيَاسُوا فَالْظُّلْمُ وَغَدٌ صَادِقٌ
لَا تَيَاسُوا فَالْسَّلَامُ نُورٌ مُنْجِدٌ	لَا تَفْعَلُوا فَالْيَأْسُ كُفْرٌ مَاجِقٌ
لَا تَيَاسُوا فَالسَّجْنُ فِي أَرْجَائِهِ	تَمَحِصُ إِخْلَاصَ، وَأَمْرٌ فَارِقٌ
فَلْتَطْمَئِنُّوا إِخْوَتِي وَلْتَأْمِنُوا	مِنْ كَيْدِهِمْ لَا تَجْزَعُوا لَا تَفْرَقُوا
أَنْتُمْ شَبَابُ الْمُصْطَفَى إِنْ تَصَبَّرُوا	تُجْزَوْا جَزَاءً وَافِراً إِنْ تَتَّقُوا
إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ الَّذِي زَانَ الْبَشَرُ	يُنْعِمُ عَلَيْكُمْ مِنْهُ نَصراً يَنْطِقُ
إِنْ تَنْصُرُوا فَالْحَقُّ نَصراً أَوْجَبُ	أَوْ: تَجْبِنُوا فَالْحُكْمُ دُلٌّ مُلْصَقٌ
لَا تَعَجَلُوا فَالْحُورُ (عَيْنٌ) بِالْثَمَنِ	وَالسَّلْعَةُ غَالِيَةً فَاسْتَوْثِقُوا ١٢٥
خُورٌ جَمِيلَاتٌ بِقَصْرِ بَاهِرٍ	إِنْ كُنْتُمْ ١٢٦ مِمَّنْ يَأْمَلُوا أَوْ:
صَبِراً فكل الصيد في جوف الفراء	لَا يَشْغَلُ قَلْبَ اللَّيِّبِ النَّاعِقُ ١٢٧

فَلْتَذْكُرُوا نِعْمَاءَ رَبِّ يَرْفُقُ ١٢٨	إِنْ كُنْتُمْ فِي غَمِّ الْبَلَاءِ الرَّائِلِ
فَضْلُ الْإِلَهِ الْحَقِّ أَيْضاً تَرْزُقُوا	فَلْتَذْكُرُوا رَوْضَاتِ جَنَّاتٍ فَمِنْ
وَالْإِبْتِلَاءِ بِالسَّالِكِ قَدْ يُحْدِقُ	مَا أَقْدَسَهُ ذَا الْحُزْنَ يَتْلُوهُ الْفَرْخُ
لِلَّهِ، شَأْنُ اللَّهِ فِيكَ الْأَوْثَقُ	لَا تَبْتَئِسْ بِالسَّجَنِ يَا مَنْ يَسْجُدُ
إِنْ تَطْلُبُوا الْإِفْرَاجَ فَارْجُوا وَاصْدُقُوا	لَا تَسْلُكُوا نَهْجَ الرَّدَى فِي سَجْنِكُمْ
مَعْصِيَةٍ يُبْغِضُ ذَوِيهَا الْخَالِقُ ١٢٩	تَاللَّهِ إِنْ السَّجْنُ خَيْرٌ مِنْ لَطَى
إِلَّا الْبَلَاءُ الْكَاشِفُ وَالْفَارِقُ	ثُمَّ اْعْلَمُوا أَنْ الْهُدَى لَا يُثْبِتُهُ
هُمْ أَسْوَةٌ إِنْ يَسْكُتُوا أَوْ: يَنْطِقُوا	ثُمَّ انْظُرُوا لِلرُّسُلِ فِي الْحَقِّ ابْتَلُوا
قَبْلَ الْعُلَا ذَا الْمُقْتَضَى وَالْمَنْطِقُ	ثُمَّ السَّلَفُ قَدْ كَانُوا سَوَطَ الْبَلَاءِ
إِلَّا بِذَلِكَ، وَالْجِزَاءُ الْأَوْفَقُ	ثُمَّ الثَّوَابُ الْأَعْظَمُ لَا يَخْصُلُنْ
لِلْعَبْدِ مِنْ أَهْلِ التَّقَى ذَا مُطْلَقُ	ثُمَّ الْإِلَهِ الْأَكْرَمُ دَوْمًا يُحِبُّ
أَوْ تَرْفُضُوا فَالْعَوْدُ أَيْضاً لَائِقُ ١٣٠	إِنْ تَسْمَحُوا فَالْخَتْمُ هَا قَدْ حَصَلَ

أخي الفاضل الأردني الحبيب: أريد أن أهمس في آذانكم أننا كلنا ذلك الرجل، نفس العقليات التي عندكم عندنا، ولا يخفى عن أخوتكم ما صح في: (سنن أبي داود) من حديث أبي هريرة-رضي الله تعالى عنه-مرفوعاً: (من أقال مسلماً أقال الله عشرته) ١٣١.

وفي رواية من حديث أمنا عائشة الصديقة بنت الصديق-رضي الله عنها، وعن أبيها-مرفوعاً: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود) ١٣٢.

قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي-رحمه الله تعالى-: (ذوو الهيئات الذين يُقالون عثراتهم الذين ليسوا يُعرفون بالشر، فيزل أحدهم الزلة) ١٣٣.

وقال العز بن عبد السلام-رحمه الله تعالى-: (لو زُفعت صغائر الأولياء إلى الأئمة والحكام لم يجر عزيرهم عليها، بل: يقيّل عثرتهم، ويستر زلتهم، فهم أولى من أقيلت عثرته، وستر زلته) ١٣٤.

قال ابن القيم-رحمه الله تعالى-: (الظاهر أنهم ذوو الأقدار بين الناس من الجاه والشرف والسؤدد، فإن الله تعالى خصهم بنوع تكريم وتفضيل على بني جنسهم، فمن كان مستوراً مشهوراً بالخير حتى كبا به جواده، ونبأ غضب صبره، وأدبل عليه شيطانه، فلا تسارع إلى تأنيبه وعقوبته، بل: تقال عثرته ما لم يكن حداً من حدود الله فإنه يتعين استيفاءه من الشريف كما يتعين أخذه من الوضيع) ١٣٥.

قال الحافظ ابن رجب-رحمه الله-: (ومن أنواع النصيح لله تعالى وكتابه ورسوله-وهو مما يختص به العلماء-ردُّ الأهواء المضلة بالكتاب والسنة، وبيان دلالتها على ما يخالف الأهواء كلها، وكذلك رد الأقوال الضعيفة من زلات العلماء، وبيان دلالة الكتاب والسنة على ردها) ١٣٦.

قال الإمام السبكي-رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه آمين-: (فإذا كان الرجل ثقة مشهوداً له بالإيمان والاستقامة، فلا ينبغي أن يحمل كلامه وألفاظ كتاباته على غير ما تعود منه ومن أمثاله، بل: ينبغي التأويل الصالح، وحسن الظن الواجب به وبأمثاله) ١٣٧.

قالت أم الفضل-عفا الله عنها-: (وشبابنا المتسرع والثائر بدون ضوابط محتاج (إلى) أن تكون عنده قواعد عامة-يقف عندها-في الحكم على الآخرين من المخالفين والمخطئين، حتى لا ينحرف عن المنهج الصحيح في تقويم المخالف، وينحرف إلى طريق الغلاة والمتنطعين، وقد عبر عنها وصاغها وجعلها قواعد عامة كثير من العلماء الأفاضل قال شيخنا أبو الفضل عمر بن مسعود بن عمر ابن حدوش الحدوشي-فك الله أسره-في كتابه القيم المسمى: (ذاكرة سجين مكافح): (... مثل قولهم:

١-القاعدة الأولى: (استحضار الخوف من الله عز وجل عند الكلام في الآخرين نصب عينيك).

٢-القاعدة الثانية: (تقديم حسن الظن بالمسلم، لأن الأصل فيه الستر والسكوت بل: والدفاع عنه).

٣-القاعدة الثالثة: (الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم، كحال أهل البدع) ١٣٨.

لأنه: (يشترط في الجراح والمعدّل:

١-العلم،

٢-والنقوى،

٣-والورع،

٤-والصدق،

٥-والابتعاد عن التعصب،

٦-ومعرفة أسباب الجرح والتزكية، ومن لم يكن كذلك لا يقبل منه الجرح ولا التزكية- معرفة تصارييف كلام العرب شرط لعالم الجرح والتعديل).

٤-القاعدة الرابعة: (العدل في وصف الآخرين، وذلك بذكر المساوي والمحسن، وألا يغفل ويدفن المحاسن لوجود بعض المساوي، أو: لعداوة أو: بغضاء، أو: اختلاف المذهبي بينه وبين من يصفه، والمنصف أن يذكر المرء بما فيه من خير أو: شر ولا يبخسه حقه).

٥-القاعدة الخامسة: (... العبرة بكثرة المحاسن والفضائل، لا بقلّة الأخطاء والردائل، وبكمال النهاية لا بنقص البداية، والعدل طريق الموازنة والمعادلة) ١٣٩.

٦-القاعدة السادسة: (العدل في المفاضلة بين الناس) و(العدل في المفاضلة بين الناس فيه تفصيل: لأن التفضيل بدون تفصيل لا يستقيم).

والتفضيل بين الناس يكون على وجهين:

١-تفضيل مطلق.

٢-وتفضيل مقيد.

أما التفضيل المطلق بين الناس فيكون على أساس التقوى-(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ١٤٠، وقول الرسول-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-عند ما سئل: أي الناس أكرم؟ قال: "أكرمهم عند الله أتقاهم" ١٤١.

-ونحن لنا الظاهر والله يتولى السرائر، فمن ظهر لنا أنه على تقوى أعظم من غيره كان أحب إلينا-.

وأما التفضيل المقيد: فهو بحسب قيده، فإن الناس يتفاضلون في أمور ومواهب وقدرات،-علماءً وذكاءً وفقهاءً وفهماءً، فالناس يتفاضلون:

١-في العلم،

٢- وفي الذكاء والفهم،

٣- وفي قوة الحفظ،

٤- أو: حسن الإدارة والتنظيم،

وأمثال ذلك فهنا المفاضلة تكون بحسب الحاجة إليها، وهي مفاضلة مقيدة لا علاقة لها بالأفضلية عند الله تعالى. فهذا السهروردي يقول عنه ابن الذهبي-رحمه الله تعالى-: (كان يتوقد ذكاء، إلا أنه قليل الدين) ١٤٢. ولذلك ينبغي أن يكون التفضيل بين الأشخاص قائماً على العدل والإنصاف لا على الهوى ١٤٣ والتعصب، وفي مثل هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-: (ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق ويرحم الخلق) ١٤٤.

وقال تلميذه العلامة المحقق ابن القيم-رحمه الله تعالى-: (الخلافاً في كون عائشة أفضل من فاطمة، أو: فاطمة أفضل، إذا حرر محل التفضيل صار وفاقاً، فالتفضيل بدون (التفصيل) لا يستقيم.

فإن أريد بالفضل كثرة الثواب عند الله عز وجل فذلك أمر لا يطلع عليه إلا بالنص لأنه بحسب تفاضل أعمال القلوب لا بمجرد أعمال الجوارح، وكمن عاملين أحدهما أكثر عملاً بجوارحه والآخر أرفع درجة منه في الجنة. وإن أريد بالتفضيل التفضيل بالعلم، فلا ريب أن عائشة-رضي الله عنها- أعلم وأنفع للأمة، وأدت للأمة من العلم ما لم يؤد غيرها، واحتاج إليها خاص الأمة وعامتها.

وإن أريد بالتفضيل شرف الأصل وجلالة النسب فلا ريب أن فاطمة أفضل، لأنها بضعة من النبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير إختوتها.

وإن أريد السيادة ففاطمة سيدة نساء الأمة. وإذا ثبتت وجوه التفضيل وموارد الفضل وأسبابه صار الكلام بعلم وعدل، وأكثر الناس إذا تكلم في التفضيل لم يفصل جهات الفضل، ولم يوازن بينهما، فيبخس الحق، وإن انضاف إلى ذلك نوع تعصب وهوى لمن يفضلته تكلم بالجهل والظلم.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- عن مسائل عديدة من مسائل التفضيل فأجاب فيها بالتفصيل الشافي: فمنها: أنه سئل عن تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر أو: العكس، فأجاب بما يشفي الصدور فقال: أفضلهما أتقاهما لله، فإن استويا في التقوى استويا في الدرجة.

ومنها: أنه سئل عن خديجة وعائشة أمي المؤمنين-رضي الله عنهما- أيهما أفضل؟ فأجاب بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام، ونصرها وقيامها في الدين لم تشركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من العلم ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها. فتأمل هذا الجواب الذي لو جئت بغيره من التفضيل مطلقاً لم تخلص من المعارضة.. فعلى المتكلم في هذا الباب:

١- أن يعرف أسباب الفضل أولاً.

٢- ثم درجاتها ونسبة بعضها إلى بعض والموازنة بينهما ثانياً.

٣- ثم نسبتها إلى من قامت به-ثالثاً- كثرة وقوة.

٤- ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها رابعاً.

فرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالاً لغيره، بل: كمال غيره بسواها، فكمال خالد بن الوليد بشجاعته وحروبه، وكمال ابن عباس بفقهه وعلمه، وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا.

فهذه أربع مقامات يضطر إليها المتكلم في درجات التفضيل.

وتفضيل الأنواع على الأنواع أسهل من تفضيل الأشخاص على الأشخاص، وأبعد من الهوى والغرض. وههنا نكتة خفية لا ينتبه لها إلا من بصره الله: وهي أن كثيراً ممن يتكلم في التفضيل يستشعر نسبته وتعلقه بمن يفضلوه ولو على بعد، ثم يأخذ في تقريبه ١٤٥ وتفضيله، وتكون تلك النسبة والتعلق مهيجة له على التفضيل، والمبالغة فيه، واستقصاء محاسن المفضل، والإغضاء عما سواها، ويكون نظره في المفضل عليه بالعكس ومن تأمل كلام أكثر الناس في هذا الباب رأى غالبه غير سالم من هذا، وهذا مناف لطريقة العلم والعدل التي لا يقبل الله سواها ولا يرضى غيرها.

ومن هذا تفضيل كثير من أصحاب المذاهب والطرائق وأتباع الشيوخ كل منهم لمذهبه وطريقته أو: شيخه ١٤٦، وكذلك الأنساب والقبائل والمدن والحرف والصناعات، فإن كان الرجل ممن لا يشك في علمه وورعه خيف عليه من جهة أخرى:

وهو أنه يشهد حظه ونفعه المتعلق بتلك الجهة، ويغيب عن نفع غيره بسواها، لأن نفعه مشاهد له أقرب إليه من علمه بنفع غيره، فيفضل ما كان نفعه وحظه من جهته باعتبار شهوده ذلك وغيبته عن سواه، فهذه نكتة جامعة مختصرة إذا تأملها المنصف عظم انتفاعه بها واستقام له نظره ومناظرته، والله الموفق ١٤٧.

٧- القاعدة السابعة: (المنهج الصحيح في الحب والبغض فيمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: (وإنه كثير ما يجتمع في الفعل الواحد، أو: في الشخص الواحد الأمران: فالدم والنهي والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر، كما يتوجه المدح والأمر والثواب إلى ما تضمنه أحدهما، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر، وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية الفجورية، لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره على فعل بعض الحسنات السنية البرية، فهذا طريق الموازنة والمعادلة، ومن سلكه كان قائماً بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب والميزان) ١٤٨.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً -رحمه الله تعالى-: (ولا منافاة بين أن يكون الشخص الواحد يرحم ويحب من وجه، ويعذب ويبغض من وجه آخر) ١٤٩.

وقال في موضع آخر: (فإن الإنسان عليه أولاً أن يكون أمره لله، وقصده طاعة الله فيما أمر به، وهو يحب صلاح الأمور، أو: إقامة الحجة عليه، فإن فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته، وتنقيص غيره، كان ذلك حمية لا يقبله الله، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطاً، ثم إذا رد عليه ذلك وأوذي أو: نسب إلى أنه مخطئ وغرضه فاسد، طلبت نفسه الانتصار لنفسه، وأتاه الشيطان، فكان مبدأ عمله لله، ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه، وربما اعتدى على ذلك المؤذي.

وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة، إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه، وأنه على السنة، فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو: رياستهم وما نسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، بل: يغضبون على من خالفهم، وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه.

ويرضون عمن يوافقهم، وإن كان جاهلاً سيئ القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدا من لم يحمده الله ورسوله، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء نفوسهم لا على دين الله ورسوله...

وأصل الدين أن يكون الحب لله، والبغض لله، والموالاة لله، والمعاداة لله، والعبادة لله، والاستعانة بالله.

وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل: يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه. ويكون مع ذلك له شبهة دين: أن الذي يرضى له ويغضب له أنه السنة، وهو الحق، وهو الدين، فإذا قدر أن الذي معه هو الدين المحض دين الإسلام، ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل: قصده الحماية لنفسه وطائفته، أو: الرياء ليعظم هو ويشنى عليه، أو: فعل ذلك شجاعة وطبعاً، أو: لغرض من الدنيا، لم يكن لله، ولم يكن مجاهداً في سبيل الله، فكيف إذا كان الذي يدعي الحق والسنة هو كنيته، معه حق وباطل، وسنة وبدعة، ومع خصمه حق وباطل وسنة وبدعة؟

وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، وكثر بعضهم بعضاً، وفسق بعضهم بعضاً، ولهذا قال الله تعالى فيهم: (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) ١٥٠.

وقال تلميذه العلامة ابن القيم ١٥١- رحمه الله تعالى:- (وعلى المتكلم في هذا الباب وغيره أن يكون مصدر كلامه عن العلم بالحق وغايته النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولإخوانه المسلمين... وإن جعل الحق تبعاً للهوى فسد القلب والعمل والحال والطريق... قال تعالى: "ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن" ١٥٢.

فالعلم والعدل أصل كل خير والظلم والجهل أصل كل شر والله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وأمره أن يعدل بين الطوائف ولا يتبع هوى أحد منهم فقال: "فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم". (الآية) ١٥٣.

وكان من سلفنا الصالح من يقول: (احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه وصاحب دنيا قد أعمته دنياه). ومن أجمل ما قاله الإمام العلم ابن ناصر الدين الدمشقي- رحمه الله تعالى:- (هيئات هيئات.. إن في مجال الكلام في الرجال عقبات.. مرتقيها على خطر ومرتقيها هوى لا منجى له من الإثم ولا وزر فلو حاسب نفسه الرامي أخاه: ما السبب الذي هاج ذلك؟ لتتحقق أنه الهوى الذي صاحبه هالك) ١٥٤.

ورحم الله من قال:

وكل امرئٍ يدري مواقع رشده	ولكنه أعمى أسير هواه
يشير عليه الناصحون بجهدهم	فيأبى قبول النصيح وهو يراه
هوى نفسه يعميه عن قصد رشده	ويبصر عن فهم عيوب سواه

وقال تلميذه الحافظ المؤرخ الذهبي- رحمه الله تعالى- في ترجمة: أبي جعفر الباقر- رحمه الله تعالى:- (ولقد كان أبو جعفر إماماً مجتهداً، تالياً لكتاب الله، كبير الشأن، لكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير ونحوه، ولا في الفقه درجة أبي الزناد وربيعة، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة، وابن شهاب، فلا نحايه، ولا نحيف عليه، ونحبه في الله لما تجمع فيه من صفات الكمال) ١٥٥.

وهناك قواعد أخرى عامة لمن يبلغه جرح في غيره:

القاعدة الأولى: (النظر في حال الجراح).

القاعدة الثانية: (التثبت من الأخبار).

القاعدة الثالثة: (رد الغيبة على المغتاب، ويبين له أن ذكر الناس داء وذكر الله دواء).

القاعدة الرابعة: (كلام الأقران بعضهم في بعض لا يقبل إن كان بدون دليل مقبول، بل: يطوى ولا يروى) ١٥٦. قال الحافظ ابن الذهبي -رحمه الله تعالى-: (قلت: وكان أبو نعيم كثير الحط على ابن منده، لمكان المعتقد واختلافهما في المذهب، فقال في: "تاريخه" ١٥٧: ابن منده، حافظ من أولاد المحدثين، توفي في سلخ ذي القعدة، واختلط في آخر عمره، فحدث عن أبي أسيد، وعبد الله ابن أخي أبي زرعة، وابن الجارود، بعد أن سُمع منه أن له عنهم إجازة، وتخط في: "أماله"، ونسب إلى جماعة أقوالاً في المعتقدات لم يُعرفوا بها، نسأل الله السَّتر والصيانة. قلت: إي والله، نسأل الله السَّتر وترك الهوى والعصية، وسيأتي في ترجمة أبي نعيم شيء من تضعيفه، فليس ذلك موجباً لضعفه، ولا قوله موجباً لضعف ابن منده، ولو سمعنا كلام الأقران بعضهم في بعض لا تُسع الخرق) ١٥٨. وقال الإمام الهمام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- بعد كلام طويل مفيد يحمل توجيهات رائعة، وتنبيهات نادرة... -: (لا يجوز تكفير كل من خالف السنة، فليس كل مخطئ كافرًا، لا سيما في المسائل التي كثر فيها نزاع الأمة) ١٥٩.

قال الشيخ المجدد المحدث محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى-: (يشير إلى مثل مسألة كلام الله وأنه غير مخلوق، ورؤية الله في الآخرة، واستواء الله على عرشه، وعلوه على خلقه، فإن الإيمان بذلك واجب، وجعلها كفر، ولكن لا يجوز تكفير من تأولها من المعتزلة والخوارج والأشاعرة بشبهة وقعت لهم إلا من أقيمت عليه الحجة وعاند) ١٦٠.

ثم قال شيخنا العلامة أبو الفضل -بعد أن ذكر هذه الضوابط والقواعد-: (ولا سيما إن كان الخطأ في بعض المسائل الدقيقة في العقيدة فهي لا توجب التضليل والتبديع بلة التكفير، فإذا لا بد من التبين والتثبت -إلى أن قال-: ولا بد من لزوم حمل الكلام على أحسن محامله، ما دام يحتمل ذلك، ومن إحسان الظن بالمسلمين، ولا بد أن نعلم بأن المسلم يوزن بحسناته وسيئاته، وأن العبرة بكثرة الصواب والمحاسن، ومن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله. وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيح

ومن القواعد المقررة في هذا: (العدل في صف الآخرين) يعني: ينبغي أن يكون العدل في ذكر المساوئ والمحاسن، والموازنة بينهما، فمن غلب خيره شره اغتفر له ذلك.

فلا أحد يسلم من الخطأ، و(كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) ١٦١. فلا ينبغي أن تدفن محاسن المرء لخطأ صدر منه، كما أن الماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث ١٦٢. والتعامل مع الإخوة ينبغي أن يكون كما قلت وبينت لكم في هذين البيتين:

أَحْسِنْ يَاخُوتَكَ الظَّنُونَ فَإِنَّهُمْ بَشَرٌ ضِعَافٌ مِثْلُ بَضْعِ شَيْءٍ
نَذَرُوا النَّفُوسَ إِلَى الْجِهَادِ وَأَخْلَصُوا لِلَّهِ أَعْمَالاً بِرَغْمِ دَوَاهِي

السؤال الثالث: ما حكم من يقول بأنه لا يستطيع أن يتحاكم للشرع ويريد الاحتكام لعرف السجن أو: ما شابه، متذرعاً بأنه سجين؟ نرجو التفصيل في حدود هذه المسألة بارك الله بكم وفيكم.

وأقول في الجواب على هذا السؤال لكم جناب الأستاذ المحترم: عرف السجن إما أن يكون مصادماً أو: موافقاً للشرع، والمصادم فرغ منه لا يحتاج إلى جواب، لأنه من باب: السماء فوقنا والأرض تحتنا، وإن كان غير مصادم فهو من باب:

(المعروف عرفاً، كالمشروط شرطاً)، و(العادة محكمة)، وقد بينت هذه القاعدة في شرحي لمنظومتي ١٦٣ المسماة: (شوارد الأنس في القواعد الفقهية الخمس) وهذا نص المنظومة:

إلهي لك الحمد الكثير على النعم	ففضلك لا يحصي على الغرب والعجم
فقد جاءني فتح لأنظم ذرة	تشف بحسن عن مقاصدها ١٦٦ العظم
مجدودة الإنشاء قل نظيرها	تلذ لضم إن يشا الصب أو: الشم
إذا صممت نفس لديك إلى العلم	ولم تستطع صبراً على عشرة البهم
فشمر لنيل المجد والفخر ساعداً	لغير الجنى ما امتد يا صاح في يوم
فهذي دروس خمسة بعد عشرة	بلغت بها الآمال في مجلس القوم
تضمن بالتحقيق خمس قواعد	تقود لفقهِ الشافعي أخي الفهم
وهن مئين إن أردت توسعاً	ولكنهن أفرغن في أسطر زقم
فأولى: "أمور وثقت بمقاصد"	تدل عليها بالشكول وبالإسم
كأمر اجتهاد في العبادة قصده	تفاني بطاعات لكبح الهوى المصمي
وثاني: "يقين ليس يرفع يا فتى	بشك" فصن فكراً لديك من الوهم
كما هو شأن الغسل ينفي قذارة	فإن كنت مرتاباً فقد جيء بالحسم
وثالثها: يا حل فاعلم "مشقة	بلى تجلب التيسير" للنفس والجسم
فإن يحزنك ١٦٤ الأمر لا بد في غد	يلين كما شاء الإله على رغم
ورابع هاتيك القواعد: "عادة	محكمه" أو: مُحَكَّم فاسيرن نظمي
كشأن اعتياد المرء أن لداته ١٦٥	على نافلات من دواعي الأذى تحمي ١٦٧
وخامسها: "ضر يزال" ويبتقى	فيعقبه نفع الجنوح إلى السلم ١٦٨
كأكلك محظوراً وأنت على طوى	إذا خاف عليك-الذاكرون- من الحزم ١٦٩
وختم قصيدي رقة ومحنة	لهادي الورى للثور من ظلمة العتم
هنا صغته في سجن تطوان مبعداً	عن الصحب والأهلين أزرخ في الظلم
به أبغى وجه الإله مؤملاً	به الصفح والغفران للذنب والجرم ١٧٠

وأجزم الشيخ الفاضل لا يخفى عليه أن مثل هذا القانون إن كان مصادماً للشرع يحرم التحاكم إليه باتفاق المسلمين إنساً وجناً، أما إن كانت قوانين السجن تنظيمية لا تخالف الشرع فهي داخلية في المصالح المرسلة، على أن سؤالكم فيه نوع غموض، بين لي السؤال أبين لك الجواب، وحتى لا أبعد النجعة، أرجع وأقول في جواب مقتضب على سؤال الشيخ القيم، ليكون الجواب مطابقاً للسؤال، ويكون الجواب ذكراً كالسؤال نظماً:

من يحكم للشرع فهو عماده	يمتأخ ١٧١ من تقوى وطيب فقاه
وإذا رأى في عرف سجن غاية	للمستفيد فليس ذا شباه ١٧٢

السؤال الرابع: ما هي حدود العلاقة بين السجناء وإدارة السجن؟ وهل يصح القيام ببعض الأعمال التي من اختصاص الشرطة، مساعدة للإخوة وتخفيفاً عنهم؟ علماً بأن من يقوم بمثل هذه الأعمال من إغلاق الغرف وما شابه ذلك سيكون ملتزماً بالقوانين التي وضعتها الإدارة على إخوانه.

وأقول في الجواب أيضاً على هذا السؤال: جناب الأستاذ النّقّاعة هذا السؤال جوابه هو ما مر في السؤال الثالث: عرف السجن إما أن يكون مصادماً أو: موافقاً للشرع... (وتما الجواب على هذا السؤال كسابقه)، وأزيد هنا على ما سبق من باب التبرع، أو: الجواب الحكيم، وأقول: من هذا الباب تنظيم اللّجن لمصلحة الإخوة، وللنيابة والكلام والدفاع عن حقوقهم، مثل: القيام بجمع أسماء الإخوة للاستفادة من الزيارة، والخلوة الشرعية، والحالة هذه أنكم لا تساعدون أحداً على الباطل، بل: عملكم داخل في باب: (وتعاونوا على البر والتقوى)، وفي باب التعاون مفتوح، وصوره متنوعة، وفي: (الصحيح) ١٧٣: (... والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)، والشرع جاء لتكميل المصالح وتقليل المفاسد، وإذا كان التزامكم بهذه القوانين التي لا تخالف الشرع يُكسبكم مكاسب أخرى ومصالح أفضل فلا مانع في ذلك، المهم أن تُرعى مصالح العباد، وهذا ما أشرت إليه في الجواب بقولي:

تُرعى بِسُلْطَانٍ مَصَالِحُ أَعْبَدٍ فِيهِ مَنَاطُ مَعِيشَةٍ وَحَيَاةٍ

السؤال الخامس: ما هي نصيحتك لإخوانك؟ سدد الله رأيك. وجزاك الله كل خير وكتب الله أجرك.

وأقول في الجواب على هذا السؤال لإخواني المأسورين: عليكم بعقد الصلح بينكم وبين ربكم، واجعلوا ما بينكم وبينه عامراً، واستحضروا عظمتهم وذلك بإجلال المقام، ودفع الاهتمام، وربط علاقتكم بربكم بالعبادات الخالصة بجميع أنواعها وأشكالها، والمحبة بين بعضكم بعضاً، وعليكم بتوسيع الأعذار لإخوانكم الأخيار، وحسن التعامل مع الإدارة والموظفين حتى تكسبونهم في صفكم، وعليكم بدعوتهم بالتي هي أحسن، لا بالتي هي أخشن، فقد هدى الله على يدي في ليلة واحدة ١٧ موظفاً فأصبحوا يلتزمون الصلوات ويحترمون الإخوة ويقدمون لهم الخدمات، وكثير منهم ترك شرب الخمر، وسب الدين، وحالياً يحافظ على الصلوات الخمس التي لم يكن يعرف عنها شيئاً - لا قليلاً ولا كثيراً -، وعليكم بالاستغلال بطلب العلم الشرعي، والدعوة إلى الله تعالى برفع الجهل عن سجناء حق العام، وأقسم بالله لقد التزم على يدي أكثر من ألف شخص من السجناء، وأسلم على يدي من الصليبيين ١٧ سجيناً وأصبحوا يعظمون القرآن والسنة تعظيماً عجبياً، كما أرجوا منكم أن تعظموا وتحترموا شيوخكم وعلماءكم وتلتزموا بهم الأعذار، ومن لا يحترم مشايخه وعلماءه ففر منه فرارك من اللؤماء، وأحب أن أذكر هنا ما ذكرته في كتابي: (كيف نطلب العلم؟) (ص: ١١٣٢/ إلى: ١١٨٤ - وما بعدها) ونصه: (وقال الدكتور محمد المقدم في كتابه: (حرمة أهل العلم) (ص: ٣٠٣) تحت عنوان: (حرمة العلماء بين أخلاق السلف وواقع الخلف) - يتحدث عن طائفة من الطائشين -: (... لا يراعون لشيخ حرمة، ولا يوجبون لطالب دمة، يتوجع أحد الدعاة من أمثال هؤلاء فيصفهم بأنهم:

"أناس فضوليون، يكثروا لغتهم، ويقل علمهم، وتنصب مجالسهم بصبة الغيبة وخشونة الألفاظ، حتى تكون تهورات اللسان أمراً مستساغاً، وتُغتال فضائل المجالس الإيمانية اغتيالاً، ويصبح الداعية المشارك فيها قليل الاحترام لعناصر الرعي الأول، كبير الجرأة عليها... وليس ذلك عرف المؤمنين أبداً، ولا سَمَتهم الذي ورثناه، إنما ورثنا:

١- الحياء،

٢- وعفاف اللسان،

٣- واحترام الكبير،

٤- وتبجيل السابق،

٥- والتأويل الحسن،

٦- وترجيح العذر،

٧- وجمال اللفظ،

٨- والاستغفار للذين سبقونا بالإيمان،

٩- وتكرار الدعاء للمربي والحادي (١٧٤).

ويتضجر آخر من مسلكهم قائلاً: (... حتى إن المتحدث منا في أي مسألة من مسائل العلم لا يعدم:

١- مخالفاً له،

٢- أو: ناقداً،

٣- أو: ناقماً،

٤- أو: واضعاً اسم المتحدث في: "ملف" صنف فيه الناس أصنافاً، ووصم كل واحد منهم بوصمة تجريح وتشريح (١٧٥).

وهاكم صوراً من عدوانهم وتطاولهم على العلماء:

١- فهذا أحدهم يعير العلماء بأنهم: (فقهاء الحيض والنفاس).

٢- وآخر يسب علماءنا قائلاً: (متى تخرجون من فقه المراحيض ودورات المياه؟).

٣- وثالث يصف لجنة الإفتاء بالحجاز بأنها: (فاتيكان المسلمين).

٤- ورابع يرى تكفير شيخنا العلامة ابن باز-رحمه الله- من البديهييات التي لا تحتاج إلى نقاش.

٥- وخامس يصف علماءنا الفضلاء بأنهم: (علماء من عينة المنخقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع).

٦- وسادس يقول: العالم الفلاني ماسوني، والداعية الفلاني عميل لكذا، أو: جاسوس لكذا مما يرجفون. والناس يصدقون

دون تبين ولا تثبت، والإشاعة أكبر من الحرب، وقصة الإفك خير دليل على ما قلنا.

وقد شكى لي بعض الإخوة الأفاضل الذين ينشطون في نشر كتب السنة والعقيدة الصحيحة بأن بعض الإخوة يتهمون به بأنه

عميل المخابرات! وهذه الفرية أطلقتها المخابرات نفسها على كثير من الناشطين في حقل الدعوة الإسلامية.

ولله در القائل:

أضاع الفريضة والسنة فتاه على الإنس والجنّة

كأن لنا النار من دونه وأفرده الله بالجنّة

٧- وسابع يكفر الإمام أبا حنيفة-رحمه الله تعالى-١٧٦ يقول صاحب كتاب: (عقيدة الإمامين أبي حاتم وأبي زرعة)

(ص: ١١٨) تحت عنوان: (الكلام في أهل الرأي): عن البرذعي قال: (سمعت أبا زرعة يقول: "كان أبو حنيفة جهمياً،

وكان محمد بن الحسن جهمياً" ثم نقل بعد كلام طويل قول الإمام أبي زرعة: "من يقول القرآن مخلوق" فهو كافر، فيُعنى

بما أسند الكفار؟! أي قوم هؤلاء؟!).

فتراه حكى القول بتكفير أبي حنيفة-رحمه الله تعالى- ولم ينكره، وكان عليه أن يحقق المسألة قبل المجازفة.

فعن محمد بن سابق قال: (سألت أبا يوسف، فقلت: أكان أبو حنيفة يقول: "القرآن مخلوق؟"، قال: "معاذ الله، ولا أنا أقوله"، فقلت: أكان يرى رأي جهنم؟ فقال: معاذ الله، ولا أنا أقوله) ١٧٧.

وعن أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي-رحمه الله تعالى-قال: (سمعت أبا يوسف القاضي يقول: كلمت أبا حنيفة-رحمه الله تعالى-سنة جرداء في أن القرآن مخلوق أم لا؟ فاتفق رأييه رأيي على أن من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر) ١٧٨. وقال علي بن الحسن الكراعي-رحمه الله تعالى-: قال أبو يوسف-رحمه الله تعالى-: (ناظرت أبا حنيفة-رحمه الله تعالى-سنة أشهر، فاتفق رأينا على أن من قال: "القرآن مخلوق"، فهو كافر).

قال المحدث الشيخ الألباني-رحمه الله تعالى-في: (مختصر العلو للذهبي) (ص: ١٥٥/رقم: ١٥٩): (وهذا إسناد جيد). وقال: (وهذا هو الظن بالإمام أبي حنيفة-رحمه الله تعالى-وعلمه، فإن صح عنه خلافه، فلعل ذلك كان قبل أن يناظره أبو يوسف، كما في الرواية الثابتة عنه في الكتاب، فلما ناظره، ولأمر ما استمر في مناظرته ستة أشهر، اتفق معه أخيراً على أن القرآن غير مخلوق، وأن من قال: "القرآن مخلوق" فهو كافر).

وهذا في الواقع من الأدلة الكثيرة على فضل أبي حنيفة، فإنه لم تأخذه العزة، ولم يستكبر عن متابعة تلميذه أبي يوسف حتى يتبين له أن الحق معه، فرحمه الله تعالى ورضي عنه).

وعن سعيد بن منصور-رحمه الله تعالى-قال: سمعت ابن المبارك-رحمه الله تعالى-يقول: (والله ما مات أبو حنيفة وهو يقول بخلق القرآن، ولا يدين الله به) ١٧٩.

وقال في حق الإمام أبي جعفر-رحمه الله تعالى-: (وفي عقيدته بلايا، الأصل والشرح كلاهما). ويتهم من المحدث الألباني، لأنه خرج أحاديث: "شرح الطحاوية" قائلاً: (وما أدري ما هذا! أفرغت عقائد أهل السنة حتى يكون هذا؟! ١٨٠).

ولم يسلم من جرأته حتى شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-، فقد نقل عنه-رحمه الله-قوله: (إن الإرجاء بدعة لفظية). ثم قال: (وهذا تهوين من شأنها، وليس بصواب، بل: هي بدعة حقيقية لفظاً ومعنى).

وقال الشيخ محمد المقدم في: (حرمة أهل العلم) (ص: ٣١٤/٣١٥): (والجواب عن ذلك: أن سياق كلام شيخ الإسلام يبين أنه-رحمه الله-لم يقصد بذلك كل المرجئة، وإنما فرقة واحدة منهم وهم: "مرجئة الفقهاء"، فإن الخلاف معهم لفظي ١٨١ من حيث اتفاق الجميع على أن أهل الكبائر متوعدون بالنار، أما الزعم بأن العمل ليس من الإيمان، فهو خطأ بين، بل: بدعة).

(لا سيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم، وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سبباً لخطأ عظيم في العقائد والأعمال، فلهذا عظم القول في ذم الإرجاء) ١٨٢.

٨- وثامن يلعن الإمام الزركشي فيقول معلقاً على قول الزركشي-رحمه الله تعالى-: (والصلاة على النبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-يعني أنها واجبة-في العمر مرة...): (هذا من الجفاء قبح الله من قال به).

ثم يدعو عليه فيقول: (لا جزاء الله خيراً). ويقول في سياق الكلام على من ينكر صفة العلو: (ومن قال بخلاف ذلك فهو جهمي أضل من الحمار كائناً من كان) ١٨٣.

٩- ويقول أيضاً في حاشيته: (الأزهمية...) (ص: ١٤٣) بعد أن حكى كلام حوى-سامحه الله، وغفر له ورحمه، وأدخله جنته-في كتابه: (جند الله ثقافة وأخلاقاً)-والكتاب لا ننكر أن فيه مصائب-حيث نصح بقراءة: (الإحياء)، و(مختصر

فقهي على المذهب)، فعلق صاحبنا الغالي قائلاً: (ولا أكون قد غليت- لا والله، قد غليت وظلمت-إذا قلت: إن من تتقف بهذه الكتب كان من جند الشيطان).

قد بلغت الغاية القصوى في الغلو ١٨٤ وتعديت، خفف عبارتك شيئاً ما، على أننا لا نختلف معك في أن كتابي: (الإحياء)، و(الجند) فيهما قواصم عظمى سامحهما الله وغفر لها.

١٠-ويقول أيضاً في مقدمة: (المقتنى العاطر من صيد الخاطر) (ص: هـ) معلقاً على قول شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي-رحمه الله تعالى-في شأن ابن الجوزي-رحمه الله تعالى-: (إذا رضي الله عنه فلا اعتبار بهم). فيقول: (قلت: هذه مجازفة قبيحة من الذهبي).

١١-وعلق أيضاً على قول المحدث محمد ناصر الدين الألباني-رحمه الله تعالى-: (شبابنا يبدعون العلماء) قائلاً: (وهذا كذب صريح).

وقال في سياق آخر وقح خبيث: (وهذا الادعاء صرح به المحدث الألباني وغيره مراراً، وفضحت أمره في: "النصيحة" في أمر هجر المبتدعة...)-كما ذكر هذا الوقح في كتابه: (من هم المبتدعة؟) (ص: ٣٨)، و(من هي الطائفة المنصورة؟) (ص: ٣). فأين أنت يا أمير المؤمنين عمر ١٨٥، ما أحوجنا إليك وإلى درّك!

يقول الشيخ الفاضل بكر بن عبد الله-رحمه الله-وهو يصف هؤلاء الغلاة: (بادرة ملعونة.. وهي تكفير الأئمة:

١-النووي،

٢-وابن دقيق العيد،

٣-وابن حجر العسقلاني،

أو: الحط من أقدارهم، أو: أنهم مبتدعة ضلال، كل هذا من عمل الشيطان، وباب ضلالة وإضلال، وفساد وإفساد، وإذا جرح شهود الشرع جرح المشهود به، لكن الأغرار لا يفقهون ولا يشبتون) ١٨٦.

وتعجيني كلمة رائعة قالها العلامة طاهر الجزائري وهو على فراش الموت قال-رحمه الله-:

(عُدُّوا رجالكم، واغفروا لهم بعض زلاتهم، وعصوا عليهم بالنواجذ لتستفيد الأمة منهم، ولا تُنفروهم لئلا يزهّدوا في خدمتكم) ١٨٧.

والكلام في الأدب مع الشيوخ أو: العكس طويل خاض في لججه الأوائل والأواخر، ومن أجله قال-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ١٨٨.

وهناك في كتاب الآداب والأخلاق كلام أجمل مما ذكرنا هنا، ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالنعق.

١-قال جريدة-رضي الله عنه-قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "...فأعط كل ذي حق حقه" ١٨٩.

٢-وقال أيضاً-رحمه الله تعالى-: "من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا، فليس منا" ١٩٠.

٣-وفي لفظ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-: "من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق-وفي لفظ: ويوقر-كبيرنا فليس منا" ١٩١.

٤-وفي لفظ من حديث عبادة بن الصامت-رضي الله تعالى عنه-مرفوعاً إلى النبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: "ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه" ١٩٢.

٥-وفي رواية بلفظ: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا" ١٩٣.

٦- وقال أيضاً من حديث-عبد الله بن عباس-رضي الله تعالى عنهما-قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: "البركة مع أكابرهم" ١٩٤.

وقال المناوي في: "فيض القدير" ٢٢٠/٣ في شرح هذا الحديث: "البركة مع أكابرهم المجربين للأمر، المحافظين على تكثير الأجور، فجالسهم لتقنتوا برأيهم، وتهتدوا بهديهم، أو: المراد: من له منصب العلم، وإن صغر سنه ١٩٥، فيجب إجلالهم حفظاً لحرمة ما منحهم الحق سبحانه، وقال شارح الشهاب: هذا حث على طلب البركة في الأمور، والتبجح في الحاجات بمراجعة الأكابر، لما خصوا به من سبق الوجود، وتجربة الأمور، وسالف عبادة المعبود، قال تعالى: (قال كبيرهم) ١٩٦.

وكان في يد المصطفى-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-سواك فأراد أن يعطيه بعض من حضر، فقال جبريل: (كبر كبر)، فأعطاه الأكبر، وقد يكون الكبير في العلم أو الدين، فيقدم على من هو أسن منه".

٧- وعن أبي مرسى مرفوعاً: (إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط) ١٩٧.

٨- وعن مالك بن الحويرث-رضي الله تعالى عنه- قال: (أتينا رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-ونحن شبة متقاربون-أي: متقاربون في السن-، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-رحيماً رفيقاً، فظن أنا قد اشتقنا أهلنا، فسألنا عن تركنا من أهلنا؟ فأخبرنا، فقال:

"ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم، ومروهم، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم) ١٩٨.

٩- وعن ابن مسعود-رضي الله تعالى عنه-قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانت قراءتهم سواءً فليؤمهم أقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواءً فليؤمهم أكبرهم سنًا...) ١٩٩.

قال ابن علان في: (دليل الفالحين) (٢٠٨/٢) في قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "فليؤمهم أكبرهم سنًا": (لأنه أقرب إلى التوجه إلى المولى، وأكثر عروضاً عن الدنيا، وتوجهاً إلى الدار الآخرة).

وقال القاسمي في: (محاسن التأويل) (٣٥٧٦/٩) عند قوله تعالى: (قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً) ٢٠٠:

(الفقه من هذه الجملة أن للكبير حقاً يُتوسل به، كما توسلوا بكبير يعقوب، وقد ورد في الاستسقاء إخراج الشيوخ).
وقديماً كان علماء السلف يوصون أبناءهم وطلبتهم بالأدب مع شيوخهم وكبراء القوم، وهذا نموذج من تلك الوصايا الكثيرة-تجددها في كتاب: (من أدب الإسلام) (ص: ١٩٠) ملحق بتحقيق رسالة (المسترشددين) للمحاسبي:-
(اعرف للكبير قدره وحقه، فإذا ماشيته فقدمه عليك في الدخول والخروج، وإذا التقيت به فأعطه حقه من السلام والاحترام، وإذا اشتركت معه في حديث فمكنه من الكلام قبلك، واستمع إليه بإصغاء وإجلال، وإذا كان في الحديث ما يدعو للمناقشة فناقشه بأدب وسكينة ولطف، وغض من صوتك في حديثك إليه، وإذا خاطبته أو: ناديته فلا تنس تكريمه في الخطاب والنداء).

أما في المشاورة فشاور العلماء والقراء وأصحاب التجربة من المحنكين والمجربين: الكبير منهم والصغير-على حد سواء، وإنما العبرة بما يقول ويُشير-وقال ابن عباس-رضي الله عنهما-: (كان القراء أصحاب مجالس عمر-رضي

الله عنه-ومشاورة، كهولاً كانوا أو: شباناً(٢٠١).

ومن كلام محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن محمد-رحمه الله تعالى، ونفعنا بعلمه ووصاياه-: (... من خدم المحابر خدمته المناير: (يجب على المعلم ألا يعنف، وعلى المتعلم أن لا يأنف)(٢٠٢).

ومع ذلك أقول: طالب العلم المخلص المجّد يجب عليه: (أن يصبر على جفوة تصدر من شيخه، أو: سوء خلق، ولا يصدّه ذلك عن ملازمته، وحسن عقيدته، ويتأول أفعاله التي يظهر أن الصواب خلافها على أحسن تأويل، ويبدأ هو عند جفوة الشيخ بالاعتذار والتوبة مما وقع والاستغفار، وينسب الموجب إليه، ويجعل العتب عليه، فإن ذلك أبقى لمودة شيخه، وأحفظ لقلبه، وأنفع للطالب في دنياه وآخرته)(٢٠٣).

وعن عباد أبي محمد البصري قال: (توسّع المجالس لثلاثة:

١-لحامل القرآن،

٢-ولحامل الحديث،

٣-ولذي شية في الإسلام)(٢٠٤).

استتاب نافع بن عبد الحارث مولاه عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي-رضي الله عنه-على مكة حين تلقى عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-إلى عسفان-موضع بين الجحفة ومكة، وهو على مرحلتين من مكة-فقال له: "من استخلفت على أهل الوادي؟"-يعني مكة-قال: "ابن أبزي"، قال: "ومن ابن أبزي؟"، قال: (مولي ابن عبد الرحمن) فغضب عمر لما سمع أنه ولي على الناس مولى، فقال له نافع: "إنه عالم بالفرائض، قارئ لكتاب الله"، قال عمر: "أما إن نبيكم-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-قال: إن هذا القرآن يرفع الله به أقواماً، ويضع به آخرين"(٢٠٥).

وزاد الذهبي في: (السير) (٢٠٢/٣): أن عمر-رضي الله عنه-قال: (ابن أبزي ممن رفعه الله بالقرآن). كما في: (حرمة أهل العلم) (ص: ٢٨٢).

وممن رفعهم القرآن الكريم: كبار أئمة التابعين من أصحاب عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-وفي كل واحد منهم عيب:

١-فعبدة أعور،

٢-ومسروق أحذب،

٣-وعلقمة أعرج،

٤-وشريح كوسج-أي: الذي لا شعر على عارضيه، ويقال: النقي الخدين من الشعر-.

٥-والحارث أعور،

رفعهم حفظ القرآن وتعلمه وتعليمه(٢٠٦).

وقال المزني: سمعت الشافعي يقول: (من تعلم القرآن عظمت قيمته)(٢٠٧).

وقال يحيى بن معين-رحمه الله تعالى-: بلغني أن الأعمش-رحمه الله تعالى-قال: (أنا ممن رفعه الله تعالى بالقرآن، لولا القرآن لكان على رقبتي دَنٌّ-وعاء ضخم-صحناء-السّمك الصغار-أبيعه)(٢٠٨).

وقال أيضاً-رحمه الله تعالى-: (لولا القرآن وهذا العلم عندي، لكنت من بقالي الكوفة)(٢٠٩).

وممن رفعه الله بالقرآن: أبو العالية رفيع بن مهران الإمام المقرئ الحافظ المسند، وكان مولى لامرأة، قال رحمه الله: (كان ابن عباس يرفعني على السرير-يعني: سرير دار الإمرة، حين تولّاها ابن عباس لعلي-رضي الله عنهم-وقريش أسفل من

السري، فتغامت بي قريش، فقال ابن عباس-رضي الله عنهما-: هكذا العلم يزيد الشريف شرفاً، ويُجلسُ المملوك على الأسرة! ٢١٠.

قال يعقوب الفسوي-رحمه الله تعالى-: (سمعت أحمد بن يونس، وذكروا له حديثاً أنكروه من حديث أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، فقال: كان الأعمش يضرب هؤلاء، ويشتمهم، ويطردهم، وكان يأخذ بيد أبي بكر، فيجلس معه في زاوية لحال القرآن) ٢١١.

وقال الحسين بن فهم-رحمه الله تعالى-: (ما رأيت أنبل من "خلف بن هشام"، كان يبدأ بأهل القرآن، ثم يأذن لأصحاب الحديث).

وكان لا يرى استصغار حامل القرآن، بل: لا بد من توقيره، فإن معه أعظم وأفضل ما يُرفع به الناس، ولو كان حامل القرآن صغير السن بالنسبة لكبار القراء.

فعن أحمد بن إبراهيم، وراق خلف بن هشام أنه سمع خلفاً -رحمه الله تعالى- يقول: (قدمت الكوفة، فصرْتُ إلى سليم بن عيسى، فقال لي: "ما أقدمك؟"، قلت: "أقرأ على أبي بكر بن عياش"، فقال: "لا تريده؟"، قلت: "بلى"، فدعا ابنه، وكتب معه إلى أبي بكر، ولم أدر ما كتب، فأتينا منزل أبي بكر، قال ابن أبي حسان: وكان لخلف تسع عشرة سنة، فلما قرأ الورقة، قال: "أدخل الرجل"، فدخلت، وسلمت، فصعد في النظر، ثم قال: "أنت لم تخلف ببغداد أحداً أقرأ منك؟"، فسكتُ، فقال لي: "اقعد، هات أقرأ"، قلت: "أعليك؟"، قال: "نعم".

قلت: "لا والله لا أقرأ على رجل يستصغر رجلاً من حملة القرآن"، ثم خرجتُ، فوجّه إلى سليم يسأله أن يردني، فأبيت، ثم ندمت، واحتجت، فكتبت قراءة عاصم عن يحيى بن آدم عن أبي بكر) ٢١٢.

انظروا ماذا يفعل التسرع: يحطك من الأعلى إلى الأدنى، ومن العلو إلى النزول، فماذا يضيره لو صبر على كلام شيخه الذي لم يقصد به إهانته، التسرع حليف الخطأ ووليد الندم.

وقال معافى بن عمران-رحمه الله تعالى-: (مثل الذي يغضب على العالم مثل الذي يغضب على أساطين-أي: سوارى- الجامع) ٢١٣.

وقال الإمام الشافعي: لسفيان بن عيينة-رحمهما الله تعالى-: (إن قوماً يأتونك من أقطار الأرض، تغضب عليهم؟ يوشك أن يذهبوا ويتركوك، قال: هم حمقى إذن مثلك أن يتركوا ما ينفعهم لسوء خلقي) ٢١٤.

قال الإمام الشافعي-رحمه الله تعالى-: (كان يختلف إلى الأعمش رجلان، أحدهما كان الحديث من شأنه، والآخر لم يكن الحديث من شأنه، فغضب الأعمش يوماً على الذي من شأنه الحديث، فقال الآخر: لو غضب عليّ كما غضب عليك لم أعد إليه، فقال الأعمش: إذن هو أحق مثلك، يترك ما ينفعه لسوء خلقي) ٢١٥.

وقال بكر بن عبد الله المزني-رحمه الله تعالى-: (إذا رأيت من هو أكبر منك، فقل: هذا سبقني بالإيمان والعمل الصالح، فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك، فقل: سبقته إلى الذنوب والمعاصي، فهو خير مني) ٢١٦.

١٠- قال ابن مسعود-رضي الله تعالى عنه-: (كان رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: استووا، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنهي، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) ٢١٧.

وقد ترجم الإمام النووي-رحمه الله تعالى-لهذا الحديث بقوله: (باب: توقير العلماء والكبار وأهل الفضل، وتقديمهم على غيرهم، ورفع مجالسهم، وإظهار مرتبتهم). انظر: (رياض الصالحين) (٢/٢٠٥-مع دليل الفالحين).

وقال ابن علان في: (دليله) (٢٠٥/٢): (وظاهر تعبيره أنهم عند اجتماعهم يرتبون بترتيبهم في الذكر، فيقدم ذو العلم على ذي السن، وهو على من بعده).

وقال عند قول النووي-رحمه الله تعالى-: (ورفع مجالسهم): (وإن كانوا هم ينبغي لهم أن لا يطلبوا رفعها تواضعاً، واتباعاً لحديث: "كان-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-يجلس حيث ينتهي به المجلس"-٢٠٥/٢-دليل الفالحين). وقال أيضاً في المصدر نفسه (٢٠٩/٢): (وفيه-كما قال المصنف-تقديم الأفضل فالأفضل إلى الإمام، لأنه أولى بالإكرام، ولأنه ربما احتاج الإمام إلى الاستخلاف، فيكون هو أولى، ولأنه يتفطن لتبنيه الإمام عن السهو ما لا يتفطن له غيره، وليضبطوا صفة الصلاة، ويحفظوها، ويتعلموها، ويعلموها الناس، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة. بل: السنة تقديم أهل الفضل في كل مجمع إلى أمام، وكبير المجلس، كمجالس العلم والقضاء والذكر والتدريس والإفتاء واستماع الحديث ونحوها، ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم والدين والعقل ٢١٨ والشرف والسن والكفاية في ذلك الباب، والأحاديث متعاضدة على هذا).

احذر أيها الطالب أن تكون في بداية الطلب أنا وأنا، وأنتم وأنتم، تقول:

أنا العالم وأنتم الجهال!!،

وأنا الطائع وأنتم المذنبون!!،

وأنا التقي وأنتم الفاسقون!!،

وأنا المتبع وأنتم المبتدعون!!،

وأنا المهتدي وأنتم الضالون!!،

وأنا الحَيِّ وأنتم الوقحون!!

١١- وعن ابن عمر-رضي الله عنهما-قال-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: (أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، لا تحترق ورقها)، فوقع في نفسي-أنها-النخلة، فكرهت أن أتكلم، وثم أبو بكر وعمر-رضي الله عنهما-، فلما لم يتكلما، قال النبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-:

"هي النخلة"، فلما خرجت مع أبي قلت: "يا أبت! وقع في نفسي النخلة"، قال: "ما منعك أن تقولها؟ لو كنت قلتها كان أحب إلي من كذا وكذا"، قال: (ما معني إلا (أني) لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما، فكرهت. أو: "فاستحييت" ٢١٩، وزاد البخاري في رواية مجاهد، في: (باب: الفهم في العلم): "فأردت أن أقول هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم".

وفي رواية أخرى للبخاري في: الأطعمة: "فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم".

وفي رواية نافع: "ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم"، وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار عند البخاري-أيضاً-في: (باب: الحياء في العلم). قال عبد الله: (فحدثت أبي بما وقع في نفسي)، فقال: لئن كنت قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا-زاد ابن حبان: "أحسبه قال: حمر النعم" ٢٢٠.

١٢- وعن سهل بن أبي حثمة الأنصاري قال: (انطلق عبد الله بن سهل ومُحَيِّصَة بن مسعود إلى خير، وهي يومئذ صُلَح، فتفرقا، فأتى محيصة إلى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلاً، فدفنه، ثم قدم المدينة، فانطلق عبد الرحمن بن سهل، ومحيصة وخويصة ابنا مسعود إلى النبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-فذهب عبد الرحمن يتكلم، فقال-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: "كَبْر، كَبْر"، وهو أحدث القوم، فسكت فتكلما... الحديث) ٢٢١.

وفي رواية أنه قال-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-لعبد الرحمن: (كَبْر الكُبْر) بالنصب على الإغراء.

وعن حكيم بن قيس بن عاصم أن أباه أوصى عند موته بنيه، فقال: (اتقوا الله، وسودّوا أكبركم، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلّفوا أباهم-أي: قاموا مقامه في حسن الفعل-وإذا سودوا أصغرهم أزرى بهم-أي: عيب، واحتقر-ذلك في أكفائهم) ٢٢٢.

قال طاوس-رحمه الله تعالى-: (إن من السنة أن توقّر العالم) ٢٢٣.

وفي رواية عنه بلفظ: (من السنة أن يوقّر أربعة:

١-العالم،

٢-وذو الشيبة،

٣-والسلطان،

٤-والوالد،

ويقال: إن من الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه) ٢٢٤.

قال ميمون بن مهران-رحمه الله تعالى-: (لا تمار عالماً ولا جاهلاً، فإنك إن ماريت عالماً خزن عنك علمه، وإن ماريت جاهلاً خشن صدرك).

وفي رواية بلفظ: (لا تمار من هو أعلم منك، فإنك إن ماريته خزن عنك علمه، ولم يبال ما صنعت) ٢٢٥.

وفي رواية عنه قال: (لا تمار من هو أعلم منك، فإذا فعلت ذلك خزن عنك علمه، ولم يضّرّه ما قلت شيئاً).

وقال الإمام الزهري-رحمه الله تعالى-: (كان أبو سلمة يماري ابن عباس فخرم بذلك علماً كثيراً) ٢٢٦.

وقال ابن جريج-رحمه الله تعالى-: (لم أستخرج الذي قد استخرجت من عطاء إلا برفقي به) ٢٢٧.

ومداره على نعيم بن حماد ٢٢٨ قال الحافظ في: (التقريب) (ص: ٥٢٠/رقم: ٧١٦٦): (صدوق يخطئ كثيراً...) ٢٢٩.

وقال عواد، والأرنؤوط في: (تحرير تقريب التهذيب) (٤/٢١/رقم: ٧١٦٦): (بل: ضعيف، ضعفه غير واحد من الأئمة، لكن بعضهم قوى أمره وأحسن الشئاء عليه بسبب نصرته للسنّة، وشدة بأسه في مقاومة أعدائها، وموقفه المتصلب في المحنة حتى إنه مات مسجوناً بأغلاله-رحمه الله-، وإنما أخرج له البخاري مقروناً بغيره).

قال سيدنا الحسين بن علي لابنه رضي الله عنهما-: (يا بني! إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت، ولا تقطع على أحد حديثاً وإن طال حتى يمسك) ٢٣٠.

قال ابن المبارك في: (الزهد) (٥٣): (أخبرنا سفيان بن عيينة عن ابن شبرمة قال: أبصر ابن مسعود تميم ابن حذلم ساكتاً وابن مسعود يحدث القوم، فقال ابن مسعود: يا تميم إن استطعت أن تكون أنت المحدث فافعل).

والأثر له طريق أخرى: خرجه وكيع بن الجراح في: (الزهد) (٥١١)، ومن طريقه خرجه الإمام أحمد في: (الزهد) (ص: ١٩٨)، ومن طريق أحمد خرجه أبو نعيم في: (الحلية) (١/١٣٠)، ومن طريق ابن المبارك خرجه ابن عبد البر في: (جامع بيان العلم وفضله) (٢/١١٢٠/١١٢١/رقم: ٢٢٠٠). وأخرجه الفسوي في: (المعرفة والتاريخ) (٢/٥٤٩) والأثر لا بأس به.

ولا تلتفت إلى ما قاله الأستاذ نشأت في هامش: (كتاب العلم) للحافظ أبي خيثمة (ص: ٤٢/٤٣/رقم: ١٩).

قال يحيى بن جعدة: (كان ناس يأتون سلمان يستمعون حديثه فيقول: هذا خير لكم وشر لي). وإسناده صحيح، رواه أبو خيثمة في: (كتاب العلم) (ص: ٤٤/رقم: ٢٠)، وخرجه ابن المبارك في: (الزهد) (٤٩) عن ابن عيينة به بلفظ: (إن ناساً كانوا يتبعون سلمان...). فذكره.

قال الحسن-رحمه الله تعالى-: (إن كان الرجل ليجلس مع القوم فيرون أن به عيًّا، وما به من عي، إنه لفقيه مسلم) ٢٣١. وقال الإمام الشعبي-رحمه الله تعالى-: (جالسوا العلماء، فإنكم إن أحسنتم حمدوكم، وإن أسأتم تأولوا لكم وعذروكم، وإن أخطأتم لم يعنفوكم، وإن جهلتم علموكم، وإن شهدوا لكم نفعوكم).

ويحكي عن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-أنه قال: (من حق العالم:

١-أن لا تكثر عليه بالسؤال،

٢-ولا تعتته ٢٣٢ بالجواب،

٣-وأن لا تلج عليه إذا كسل،

٤-ولا تأخذ بثوبه إذا نهض،

٥-ولا تفشين له سرًّا،

٦-ولا تغتابن عنده أحدًا،

٧-ولا تطلبن عشرته،

٨-وإن زل قبلت معذرتة،

٩-وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله،

١٠-ولا تجلس أمامه،

١١-وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته).

والأثر وإن كان-بعضهم يضعفه-، إلا أن ما تضمنه من الآداب في غاية الصحة ٢٣٣.

وفي رواية: (إن من حق العالم عليك:

١-أن تسلم على القوم عامة، وتخصه بالتحية،

٢-وأن تجلس أمامه،

٣-ولا تشير عنده بيدك،

٤-ولا تغمزن بعينك،

٥-ولا تكثر عليه السؤال،

٦-ولا تعينه في الجواب،

٧-ولا تلج عليه إذا كسل،

٨-ولا تراجعهُ إذا امتنع،

٩-ولا تأخذ بثوبه إذا نهض،

١٠-ولا تفشي له سرًّا،

١١-ولا تغتابن عنده أحدًا،

١٢-ولا تطلبن عشرته،

١٣-وإن زل قبلت معذرتة،

١٤-ولا تقولن له: سمعت فلاناً يقول كذا، ولا أن فلاناً يقول خلافك،

١٥-ولا تصفن عنده عالماً،

١٦- ولا تعرض من طول صحبته،

١٧- ولا ترفع نفسك عن خدمته ٢٣٤،

١٨- وإذا عرضت له حاجة سبقت القوم إليها، فإنما هو بمنزلة النحلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء ٢٣٥.

قال ابن عبد البر: وأنشدني يوسف بن هارون لنفسه في قصيدة له:

وأجلّه في كل عين علمه فيرى له الإجلال كل جليل
ولذلك العلماء كالخلفاء عند الناس في التعظيم والتبجيل

قال أبو الحسن المديني-رحمه الله تعالى-: (خطب زياد ذات يوم على منبر الكوفة، فقال: "أيها الناس إني بت ليلتي هذه مهتماً بخلال ثلاث: (بذي العلم، وبذي الشرف، وبذي السن).

رأيت أن أتقدم إليكم فيهن بالنصيحة:

١- رأيت إعظام ذوي الشرف،

٢- وإجلال ذوي العلم،

٣- وتوقير ذوي الأسنان،

والله لا أوتي برجل رد على ذي علم ليضع بذلك منه إلا عاقبته، ولا أوتي برجل رد على ذي شرف ليضع بذلك من شرفه إلا عاقبته، ولا أوتي برجل رد على ذي شية ليضعه بذلك إلا عاقبته، إنما الناس بأعلامهم، وعلمائهم، وذوي أسنانهم ٢٣٦.

قال سمرة بن جندب-رضي الله عنه-: (لقد كنت على عهد رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما ينعني من القول، إلا أن هاهنا رجالاً هم أسن مني) ٢٣٧.

وسئل ابن المبارك بحضور سفيان بن عيينة عن مسألة، فقال: (إنا نهينا أن نتكلم عند أكابرنا) ٢٣٨.

وقال إمام الجرح والتعديل يحيى بن معين-رحمه الله تعالى-: (إذا حدثت في بلدة فيها مثل أبي مسهر، فيجب للحيثي أن تحلق) ٢٣٩.

قال الحسن بن علي الخلال-رحمه الله تعالى-: (كنا عند معتمر بن سليمان يحدثنا إذ أقبل ابن المبارك، فقطع معتمر حديثه، فقل له: حدثنا، فقال: إنا لا نتكلم عند كبرائنا) ٢٤٠.

وعن عاصم-رحمه الله تعالى-قال: (كان أبو وائل عثمانياً، وكان زر بن حبيش علوياً، وما رأيت واحداً منهما قط تكلم في صاحبه حتى ماتا، وكان زر أكبر من أبي وائل، فكانا إذا جالسا جميعاً، لم يحدث أبو وائل مع زر-يعني يتأدب معه لسنه) ٢٤١.

قال أبو عبد الله المصطفي-رحمه الله تعالى-: (رأيت أبا بكر بن عياش بمكة، جاءه سفيان بن عيينة، فبرك بين يديه، فجاء رجل يسأل سفيان عن حديث، فقال: "لا تسألني عن حديث ما دام هذا الشيخ قاعداً"، فجعل أبو بكر يقول: يا سفيان، كيف أنت؟ وكيف عائلة أبيك). وكان أبو بكر يكبر سفيان بعشر سنين ٢٤٢.

وقال سفيان الثوري-رحمه الله تعالى-: (إذا رأيت الشاب يتكلم عند المشايخ، وإن كان قد بلغ من العلم مبلغاً، فأيس من خيره، فإنه قليل الحياء) ٢٤٣.

قال عقبة بن علقمة-رحمه الله تعالى:- سمعت إبراهيم بن أدهم-رحمه الله تعالى-يقول: (كنا إذا رأينا الحدث يتكلم مع الكبار أيسنا من أخلاقه، ومن كل خير عنده) ٢٤٤.

وذكر يحيى أن الإمام مالكا كان إذا رأى ازدحامهم في مجلسه، قال: (توقروا، فإنه عون لكم، وليعرف صغيركم حق كبركم) ٢٤٥.

وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: (كنا نجلس إلى ربيعة وغيره، فإذا أتى ذو السن والفضل قالوا له: "هاهنا"، حتى يجلس قريباً منهم، قال: وكان ربيعة ربما أتاه الرجل ليس له ذلك السن، فيقول له: "هاهنا"، فلا يرضى ربيعة حتى يجلسه إلى جانبه، كأنه يفعل ذلك لفضله عنده) ٢٤٦.

قال عبد الله بن أحمد-رحمه الله تعالى:- (رأيت أبي إذا جاء الشيخ والحدث من قريش أو: غيرهم من الأشراف لم يخرج من باب المسجد حتى يخرجهم، فيكونوا هم يتقدمونه، ثم يخرج من بعدهم).

وقال المروزي: "رأيتني جاء إليه مولى ابن المبارك فألقى إليه مخدة وأكرمه، وكان إذا دخل عليه من يكرم عليه، يأخذ المخدة من تحته، فيلقها له".

وقال المروزي-رحمه الله تعالى:- "كان أبو عبد الله من أشد الناس إعظاماً لإخوانه ومن هم أسن منه، لقد جاء أبو همام راكباً على حمار، فأخذ له أبو عبد الله بالركاب، ورأيتني فعل هذا بمن هو أسن منه من الشيخ" ٢٤٧.

وقال سلمة بن كهيل: (كان إبراهيم والشعبي إذا اجتمعا لم يتكلم إبراهيم بشيء لسنه) ٢٤٨. والله در القائل:

إن الأمور إذا الأحداث دبرها دون الشيوخ ترى في سيرها الخللا

والشأن في عصرنا كما قال القاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي-"وفيات الأعيان: ٣/٢٢١"-:

متى يصل العطاش إلى ارتواء	إذا استقت البحار من الركيا
ومن يشني الأصاغر عن مراد	وقد جلس الأكابر في الزوايا
وإن ترفُغ الوضعاء يوماً	على الرفعاء من إحدى الزوايا
وإذا استوت الأسافل والأعالي	فقد طابت منادمة المنايا

وانتهى أبو منصور إبراهيم إلى زقاق، فقال له إبراهيم-رحمه الله تعالى:- ((تقدم)، فأبى أن يتقدم، فتقدم إبراهيم، ثم قال: (لو كنت أعلم أنك أكبر مني بيوم، ما تقدمتك) ٢٤٩.

وعن مالك بن مغول-رحمه الله تعالى-قال: (كنت أمشي مع طلحة بن مصرف، فصرنا إلى مضيق، فتقدمني ثم قال لي: لو كنت أعلم أنك أكبر مني بيوم، ما تقدمتك) ٢٥٠.

قال الفضل بن موسى-رحمه الله تعالى:- (انتهيت أنا وعبد الله بن المبارك إلى قنطرة، وقال لي: "تقدم"، فحاسته، فإذا أنا أكبر منه بسنتين) ٢٥١.

وعن حماد بن أبي حنيفة-رحمه الله تعالى-قال: (رأيت الحسن بن عمارة وأبي انتھيا إلى قنطرة، فقال له أبي: "تقدم"، فقال: أتقدم؟! تقدم أنت، فإنك أفقهن، وأعلمنا، وأفضلنا) ٢٥٢.

قال يعقوب بن سفيان-رحمه الله تعالى-: (بلغني أن الحسن، وعلياً، ابني صالح كانا توأمين، خرج الحسن قبل علي فلم يُر قط الحسن مع علي في مجلس إلا جلس علي دونه، ولم يكن يتكلم مع الحسن إذا اجتمعا في مجلس) ٢٥٣.

قال الخطيب البغدادي-رحمه الله تعالى-: (وإن قدم الأكبر على نفسه من كان أعلم منه جاز ذلك، وكان حسناً)، ثم روى بإسناده إلى الحسين بن منصور-رحمه الله تعالى-قال: (كنت مع يحيى بن يحيى وإسحاق-يعني: ابن راهويه- يوماً نعود مريضاً، فلما حاذينا الباب، تأخر إسحاق، وقال ليحيى-رحمه الله تعالى-: "تقدم"، فقال يحيى لإسحاق: "تقدم أنت"، قال: "يا أبا زكرياء أنت أكبر مني"، قال: "نعم، أنا أكبر منك، وأنت أعلم مني"، فتقدم إسحاق) ٢٥٤.

وعن جرير-رضي الله عنه-قال: (لما بعث النبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-أتيته، فقال: "يا جرير لأي شيء جئت؟" قلت: "جئت لأسلم على يدك يا رسول الله" قال: فألقى إلي كساءه، ثم أقبل على أصحابه، وقال: (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا) ٢٥٥.

ويروى عن سيدتنا الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها وعن أبيها-قالت: (أمرنا رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-أن ننزل الناس منازلهم) ٢٥٦.

-قال القرطبي في: (المفهم) ٢٥٧: (قول عائشة-رضي الله عنها-: "أمرنا رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-أن ننزل الناس منازلهم": استدلال مسلم بهذا الحديث يدل ظاهراً على أنه لا بأس به، وأنه مما يحتج به عنده، وإنما لم يسنده في كتابه، لأنه ليس على شرط كتابه، وقد أسنده أبو بكر البزار في "مسنده" عن ميمون بن أبي شبيب، عن عائشة-رضي الله عنها-عن النبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-، وقال: لا يعلم عن النبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-إلا من هذا الوجه، وقد روي عن عائشة-رضي الله عنها-من غير هذا الوجه موقوفاً.

وقد ذكره أبو داود في: "مصنفه" فقال: حدثنا إسماعيل بن أبي خلف: أن يحيى بن يمان أخبرهم عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب، أن عائشة-رضي الله عنها-مرّ بها سائلٌ فأعطته كسرة، ومر بها رجل عليه ثياب زاهية فأقعده فأكل، فقبل لها في ذلك، فقالت: قال رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: "أنزلوا الناس منازلهم".

قال ابن الأعرابي-رحمه الله تعالى-: قال أبو داود: ميمون لم ير عائشة-رضي الله عنها-٢٥٨-وعلى هذا فالحديث منقطع، فقد ظهر لأبي داود من هذا الحديث ما لم يظهر لمسلم! ولو ظهر له ذلك لما جاز له أن يستدل به ٢٥٩ إلا أن يكون يعمل بالمراسيل، والله أعلم أن مسلماً إنما قال: وذكر عن عائشة-رضي الله عنها-، وهو مشعر بضعفه، وأنه لم يكن عنده مما يعتمد عليه.

ومعنى هذا الحديث: الحض على مراعاة مقادير الناس ومراتبهم ومناصبهم، فيعامل كل واحد منهم بما يليق بحاله، وبما يلائم منصبه في الدين والعلم، والشرف، والمرتبة.

فإن الله تعالى قد رتب عبيده وخلقه، وأعطى كل ذي حق حقه، وقد قال-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-:

(خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) ٢٦٠.

وقال القرطبي في آخر كتاب الإيمان من كتاب: (المفهم): (رواه مسلم (المقدمة-١/٦)، وأبو داود مرفوعاً من قوله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-بلفظ: "أنزلوا الناس منازلهم" وفيه انقطاع) ٢٦١.

ويروى عن أبي عمران الجوني قال: (كتب عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-إلى أبي موسى الأشعري: أنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس، فأكرم وجوه الناس) ٢٦٢.

وذكر الإمام السمعاني في كتابه: (أدب الإملاء والاستملاء) (ص: ١٢٠): (قال عبد الله بن أحمد بن حنبل-رحمهما الله- قلت لأبي: مالك لم تسمع من إبراهيم بن سعد، وقد نزل بغداد في جوارك؟ فقال: اعلم يا بني أنه جلس مجلساً واحداً، وأملى علينا، فلما كان بعد ذلك خرج، وقد اجتمع الناس، فرأى الشباب تقدموا بين يدي المشايخ، فقال: "ما أسوأ أدبكم! تتقدمون بين يدي المشايخ؟! لا أحدثكم سنة"، فمات، ولم يحدث).

وحضر سفيان الثوري مجلس شاب من أهل العلم، وهو يتراءس ويتكبر بالعلم على من هو أكبر منه، فغضب سفيان، وقال: (لم يكن السلف هكذا، كان أحدهم لا يدعي الإمامة، ولا يجلس في الصدر حتى يطلب هذا العلم ثلاثين سنة، وأنت تتكبر على من هو أسن منك؟ قم عني، ولا أراك تدنوا من مجلسي) ٢٦٣.

ولله در القائل:

يا عائباً للشيخ من أشْرٍ داخله في الصبا ومن بدَّخٍ
اذكر إذا شئت أن تُعيرهم جدَّك واذكر أباك يا ابن أخٍ
واعلم بأن الشباب منسلخٌ عنك وما وزره بمنسلخٍ
من لا يعز الشيخ لا بلغت يوماً به سنُّه إلى الشيخ

واستأذن رجلان على معاوية-رضي الله عنه ولعن من يلعنه- فأذن لأحدهما، وكان أشرف منزلة من الآخر، ثم أذن للآخر، فدخل عليه فجلس فوق صاحبه، فقال سيدنا معاوية-رضي الله عنه-: (إن الله قد ألزمننا تأديبكم كما ألزمننا رعايتكم، وأنا لم نأذن له قبلك إلا ونحن نريد أن يكون مجلسك دونه، فقم لا أقام الله لك وزناً) ٢٦٤.

قال الحافظ الذهبي-رحمه الله تعالى-في: (سير أعلام النبلاء) (٩٥/٤): (... كان زياد معظماً للأحنف، فلما وُلِّي بعده ابنه عبيد الله تغيَّر أمر الأحنف، وقُدِّم عليه من هو دونه، ثم وفد على معاوية في الأشراف، فقال لعبيد الله-رحمه الله تعالى-: "أدخلهم عليَّ على مراتبهم"، فأخَّر الأحنف، فلما رآه معاوية أكرمه لمكان سيادته، وقال: "إليَّ يا أبا بحر"، وأجلسه معه، وأعرض عنهم، فأخذوا في شكر عبيد الله بن زياد، وسكت الأحنف، فقال له: "لم لا تتكلم؟"، قال: "إن تكلمت خالفتهم".

قال: "اشهدوا أنني قد عزلت عبيد الله"، فلما خرجوا كان فيهم من يروم الإمارة، ثم أتوا معاوية بعد ثلاث، وذكر كل واحد شخصاً، وتنازعوا، فقال معاوية: "ما تقول يا أبا بحر؟"، قال: "إن وليت أحداً من أهل بيتك لم تجد مثل عبيد الله"، فقال: "قد أعدته"، قال: فخلا معاوية بعبيد الله، وقال: "كيف ضيَّعت مثل هذا الرجل الذي عزلك، وأعادك، وهو ساكت؟"، فلما رجع عبيد الله جعل الأحنف صاحب سره).

وسبق أن ذكرت في هذه الرسالة قصة خروج سيدنا عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-إلى الشام... فأتوا على مخاضة وعمر على ناقه، فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة-رحمه الله تعالى-: "يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟! تخلع خفيك، وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟"

ما يسرني أن أهل البلد استشفوك"، فقال عمر: "أوه لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم"-هذا هو الشاهد من هذه القصة: مراعاة عمر-رضي الله عنه-أقدار الرجال، وإنزالهم منازلهم- ثم قال: إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به، أذلنا الله).

وفي رواية: (يا أمير المؤمنين، تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على حالك هذه؟ فقال عمر-رضي الله عنه-: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نبتغي العز بغيره) ٢٦٥.

وعن يحيى بن معين قال: سمعت قبيصة بن عقبة يقول: "شهدت عند شريك، فامتنحني في شهادتي، فذكرت ذلك لسفيان، فأنكر على شريك، وقال: لم يكن له أن يمتحنه" ٢٦٦.

وعن أبي وائل: أن ابن مسعود-رضي الله عنه- رأى رجلاً قد أسبل، فقال: "ارفع إزارك"، فقال: "وأنت يا ابن مسعود ارفع إزارك"، فقال له عبد الله: "إني لست مثلك إن بساقي حموشة-دقة-وأنا أؤم الناس"، فبلغ ذلك عمر، فجعل يضرب الرجل، ويقول: "أترد على ابن مسعود؟!". هكذا ينبغي أن يتأدب الصغار مع الكبار-بصرف النظر عما قيل في الأثر- ٢٦٧.

أما زماننا فكما قال ابن المبارك:

لا تَعْرِضَنَّ بذكرهم مع ذكرنا ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

من الذي ينبغي أن تتأدب معه أيها الطالب الذكي؟:

١-ينبغي أن تتأدب مع ربك سبحانه وتعالى.

٢-ينبغي أن تتأدب مع كتابه عز وجل.

٣-ينبغي أن تتأدب مع نبيك عليه الصلاة والسلام.

٤-ينبغي أن تتأدب مع سنته الصحيحة: قولاً-كانت-أو: عملاً، أو: تقريراً، أو: تركاً ونحوها.

٥-ينبغي أن تتأدب مع آل بيته الأطهار من أهل السنة الأخيار.

٦-ينبغي أن تتأدب مع صحابته الأبرار-رضوان الله عليهم جميعاً-من غير مشنوية.

٧-ينبغي أن تتأدب مع الخلق عامة، ومع أهل السنة خاصة.

(وأما الأدب مع الخلق: فهو معاملتهم على اختلاف مراتبهم، بما يليق بهم، فلكل مرتبة أدب، والمراتب فيها أدب خاص: فمع والدين: أدب خاص، ولأب منهما: أدب هو أخص، ومع العالم أدب آخر، ومع السلطان أدب يليق به، وله مع الأقران أدب يليق بهم، ومع الأجانب: أدب غير أدبه مع أصحابه وذوي أنسه، ومع الضيف: أدب غير أدبه مع أهل بيته.

ولكل حال أدب:

١-فلأكل آداب،

٢-وللشرب آداب،

٣-وللركوب آداب،

٤-وللدخول إلى بيته آداب،

٥-ولللخروج منه آداب،

٦-وللسفر آداب،

٧-وللإقامة آداب،

٨-وللنوم آداب،

٩- وللکلام آداب،

١٠- وللسکوت آداب،

١١- وللاستماع آداب.

وأدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه.

وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبواره. فما استجلب خيري الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب. فانظر إلى الأدب مع الوالدين: كيف نجى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة؟ والإخلال به مع الأم- تأويلاً وإقبالاً- على الصلاة كيف امتحن صاحبه بهدم صومعته وضرب الناس له، ورميه بالفاحشة؟ وتأمل أحوال كل شقي ومغتر ومدبر: كيف تجد قلة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان؟! وانظر قلة أدب عوف بن مالك مع خالد-رضي الله عنهما-: كيف حرمه السلب بعد أن برّدَ بيديه؟!

وانظر أدب الصديق مع النبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- في الصلاة أن يتقدم بين يديه، فقال: "ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-". كيف أورثه مقامه والإمامة بالأمة بعده؟!

فكان ذلك التأخر إلى خلفه وقد أوماً إليه أن: "أثبت مكانك" جمزاً وسعيّاً إلى قدام؟ بكل خطوة إلى وراء مراحل إلى قدام، تنقطع فيها أعناق المطي! والله أعلم(٢٦٨).

وقد ورد في رحمة الصغير وتوقير الكبير أحاديث كثيرة قال البخاري في: (الأدب المفرد)

(ص: ٨٢/رقم: ٣٥٣/إلى: ٣٥٨) تحت عنوان: (باب: فضل الكبير)، و(باب: إجلال الكبير):

١- حدثنا أحمد بن عيسى قال: حدثنا عبد الله بن وهب، عن أبي صخر، عن أبي فسيط، عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: (من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا، فليس منا) (٢٦٩).

٢- حدثنا علي، قال: حدثنا سفيان، حدثنا ابن أبي نجيح، عن عبيد الله بن عامر، عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما- يبلغ به النبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- قال: (من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا، فليس منا) (٢٧٠).

٣- حدثنا عبدة، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده-رضي الله تعالى عنهم أجمعين- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: (ليس منا من لم يعرف حق كبيرنا، ويرحم صغيرنا) (٢٧١).

٤- حدثنا محمود، قال: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا الوليد بن جميل، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة أن رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- قال: (من لم يرحم صغيرنا، ويجل كبيرنا، فليس منا) (٢٧٢).

٥- حدثنا بشر بن محمد، أخبرنا عبد الله، قال: أخبرنا عوف، عن زياد بن مخراق قال: قال أبو كنانة: عن الأشعري-رضي الله تعالى عنه- قال: (إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط) (٢٧٣).

٦- حدثنا محمد بن سلام، قال: أخبرنا جرير، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا) (٢٧٤).

٣- الأخذ من شيخك أدب نفسه، قبل أدب درسه:

- ١- وكان أصحاب عبد الله بن مسعود-رضي الله تعالى عنه-يرحلون إليه فينظرون إلى سمته، وصمته، وهديه، ودلّه، (فيتشبهون به) ٢٧٥.
- ٢- قال الإمام مالك-رحمه الله تعالى-: (رأيت أيوب السخيتاني بمكة حج حَجَّتَيْن، فما كتبت عنه، ورأيت في الثالثة قاعداً في فناء زمزم، فكان إذا ذكر النبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-بكى حتى أرحمه، فلما رأيت ذلك كتبت عنه) ٢٧٦.
- ٣- وروى الإمام مالك عن التابعي الجليل محمد بن سيرين قوله واصفاً حال كبار التابعين ٢٧٧: (كانوا يتعلمون الهدى كما يتعلمون العلم) ٢٧٨.
- ٤- قال مالك-رحمه الله تعالى-: (وبعث ابن سيرين رجلاً ينظر كيف هدى القاسم بن محمد ٢٧٩ وحاله).
- ٥- وقال ابن وهب-رحمه الله تعالى-: (حدثني مالك أن ابن سيرين كان قد ثقل، وتخلّف عن الحج، فكان يأمر من يحج أن ينظر إلى هدي القاسم، ولباسه، وناحيته ٢٨٠، فيبلغونه ذلك، فيتقدم بالقاسم) ٢٨١.
- ٦- وجا في ترجمة علي بن المديني عن عباس العنبري-رحمه الله تعالى-: (كان الناس يكتبون قيامه، وقعوده، ولباسه، وكل شيء يقول ويفعل) ٢٨٢.
- ومع هذا فكلهم يقول: (وددت أني أنجو من علمي كفافاً) ٢٨٣.
- ٨- وكان أبو بكر بن إسحاق إذا ذكر عقل أبي علي الثقفي-رحمهما الله تعالى-يقول: (ذاك عقل مأخوذ عن الصحابة والتابعين)، وذلك: أن أبا علي أقام بسمرقند مدة أربع سنين يأخذ تلك الشمائل من محمد بن نصر المروزي-رحمه الله تعالى-، وأخذها ابن نصر عن يحيى بن يحيى، فلم يكن بخراسان أعقل منه، وأخذها يحيى عن مالك، أقام عليه لأخذها سنة بعد أن فرغ من سماعه، فقليل له في ذلك؟ فقال: (إنما أقمت مستفيداً لشمائله، فإنها شمائل الصحابة والتابعين) ٢٨٤.
- ٩- قال الحافظ الذهبي-رحمه الله تعالى-في ترجمة: الزهري، محمد بن مسلم-رحمه الله تعالى-: (وعن الزهري قال: كنا نأتي العالم فما نتعلم من أدبه أحبُّ إلينا من علمه) ٢٨٥.
- ثم قال ابن وهب-رحمه الله تعالى- ٢٨٦: (ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه) ٢٨٧.
- ٦- وقال القاضي أبو يعلى-رحمه الله تعالى-: (روى أبو الحسين بن المنادي-رحمه الله تعالى-بسنده إلى الحسين بن إسماعيل-رحمه الله تعالى-قال: سمعت أبي-رحمه الله تعالى-يقول: كنا نجتمع في مجلس الإمام أحمد-رحمه الله تعالى-زهراء على خمسة آلاف أو: يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقي يتعلمون منه حسن الأدب، وحسن السم) ٢٨٨.
- ٧- وكان العلامة ابن الشجري-رحمه الله تعالى-: (لا يكاد يتكلم في مجلسه بكلمة؛ إلا وتتضمن أدب نفس، أو: أدب درس) ٢٨٩.
- ٨- وقال جعفر بن سليمان-رحمه الله تعالى-: (كنت إذا وجدت من قلبي قسوة، غدوت فنظرت إلى وجه محمد بن واسع، كان كأنه ثكلى) ٢٩٠.
- ٩- وقال عبد الله بن المبارك-رحمه الله تعالى-: ("إذا نظرت إلى الفضيل، جدّد لي الحزن، ومقّت نفسي"، ثم بكى) ٢٩١.
- ١٠- وقال بشر بن الحارث-رحمه الله تعالى-: (إني لأذكر المعافى ٢٩٢ اليوم، فأنتفع بذكره، وأذكر رؤيته فأنتفع) ٢٩٣.

وهو كما قيل: (أبو الإفادة أقوى من أبي الولادة) ٢٩٤.

١١- وقال محمد بن عبيد الطنافسي-رحمه الله تعالى:- (يا أصحاب الحديث، ألا تكونون مثل عيسى بن يونس، كان إذا جاءه إلى الأعمش ينظرون إلى هديه وسمته) ٢٩٥.

الآفة السادسة: الكبر ٢٩٦ والعجب:

وقد ذم الله عز وجل الكبر في مواضع كثيرة من كتابه العظيم، وسنة نبيه الكريم، فمن ذلك:

١- قال الله سبحانه وتعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) ٢٩٧.

٢- وقال تعالى مخاطباً إبليس لعنه الله: (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين) ٢٩٨.

٣- وقال سبحانه وتعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) ٢٩٩.

٤- وقال سبحانه وتعالى: (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) ٣٠٠.

٥- وقال سبحانه وتعالى: (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين) ٣٠١.

٦- وقال سبحانه وتعالى: (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً) ٣٠٢.

٧- وقال سبحانه وتعالى: (لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين) ٣٠٣.

٨- وقال سبحانه وتعالى: (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) ٣٠٤.

٩- وقال سبحانه تعالى: (فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) ٣٠٥.

١٠- وقال سبحانه وتعالى: (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) ٣٠٦.

وهناك آيات أخرى كثيرة في ذم الكبر والعجب أعرضنا عنها اختصاراً، لأن فيما ذكرنا كفاية لمن يبحث عن الحق. أما دواوين السنة الصحيحة فقد ورد فيها أحاديث كثيرة في ذم الكبر والعجب فإليكم بعضها:

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال: رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً!).

٢- وفي: (الصحيحين) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- قال: (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً) ٣٠٧.

٣- وفي: (صحيح مسلم) أن النبي- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- قال: (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، قال:

١- المسبل،

٢- والمنان،

٣- والمنفق سلعته بالحلف الكاذب) ٣٠٨.

وفي رواية عند الإمام أحمد من حديث أبي ذر- رضي الله عنه- بلفظ: ("ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم")

قال أبو ذر-رضي الله تعالى عنه:- قلت: يا رسول الله، من هم؟ خسروا وخابوا! قال: فأعاده رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-ثلاث مرات، قال:

١- "المسبل،

٢- والمنفق سلعته بالخلف الكاذب-أو: الفاجر-

٣- والمنان" ٣٠٩.

جمع الثلاثة في قَرْن؛ لأن المسبل إزاره هو المتكبر المرتفع بنفسه على الناس ويحتقرهم، والمنان إنما منَّ بعطائه لما رأى من غلوه على المُعطى له، والحالف البائع يراعي غبطة نفسه، وهضم صاحب الحق، والحاصل من المجموع:

١- احتقار الغير،

٢- وإيثار نفسه،

ولذلك يجازيه الله باحتقاره له، وعدم التفاته إليه، كما لَوَّح به: (لا يكلمهم الله) ٣١٠.

٤- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-قال: (احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم. فقضى الله بينهم: إنك الجنة رحمتي، أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي، أعذب بك من أشاء، ولكيلكما عليَّ ملؤها).

وفي رواية بلفظ: (قالت النار: أوثرت بالمتكبرين) ٣١١.

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: (بينما رجل يمشي في حلة ٣١٢ تعجبه نفسه، مُرَّجِلَ رأسه، يختال في مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم

القيامة) ٣١٣.

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه-: (قال الله تعالى: العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن ينازعني عذبتة) ٣١٤.

٧- وعن ابن عمر-رضي الله عنهما-قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: (يُحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صورة الدَّرَّ ٣١٥، يطوهم الناس لهوانهم على الله عز وجل) ٣١٦.

وقال سفيان بن عيينة-رحمه الله تعالى-: (من كانت معصيته في شهوة، فارَّج له التوبة فإن آدم-عليه السلام-عصى مشتهياً فغُفِرَ له، فإذا كانت معصيته من كبر، فاخش عليه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبراً فلُعِن) ٣١٧.

ثم، (اعلم أنَّ الكبر ينقسم إلى:

١- ظاهر

٢- وباطن،

فالباطن هو خلق في النفس، والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح، واسم الكبر بالخلق الباطن أحق، أما الأعمال فإنها ثمرات لذلك الخلق.

وخلق الكبر موجب للأعمال، ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال: تكبر، وإذا لم يظهر يقال: في نفسه كبر.

ولا يتصور أن يكون متكبراً إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال، فعند ذلك يكون متكبراً، ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبراً، فإنه قد يستعظم نفسه، ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو: مثل نفسه فلا يتكبر عليه. ثم هذه العزة تقتضي أعمالاً في الظاهر والباطن هي ثمرات، ويسمَّى ذلك تكبراً.

فهو إن حاجَّ أو: ناظر أنف أن يُردَّ عليه، وإن وُعِظ استنكف من القبول، وإن وُعِظ عنف في النصيح، وإن رُدَّ عليه شيء من قوله غضب، وإن علَّم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتنَّ عليهم واستخدمهم، وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحمير، استجهاً لهم واستحقاراً، والأعمال الصادرة عن خُلُق الكبر كثيرة، وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فإنها مشهورة.

فهذا هو الكبر، وآفته عظيمة، وغائلته هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق، وكيف لا تعظم آفته وقد قال-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- ٣١٨: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) ٣١٩.

قال الحافظ الذهبي-رحمه الله تعالى-في ترجمة: فرقد بن يعقوب السبخي، أبو يعقوب البصري-رحمه الله تعالى-: (...)
قال قرأت في التوراة: أمهات الخطايا ثلاث أول ذنب عُصي الله به:

١-الكبر،

٢-والحسد،

٣-والحرص) ٣٢٠.

قال ابن قدامة-رحمه الله تعالى-: (واعلم أن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات:

الأولى: أن يكون الكبر مستقراً في قلب الإنسان منهم، فهو يرى نفسه خيراً من غيره، إلا أنه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلا أنه قد قطع أغصانها.

الثانية: أن يظهر لك بأفعاله من الترفع في المجالس، والتقدم على الأقران، والإنكار على من يقصر في حقه، فترى العالم يُصعَّر ٣٢١ خده للناس، كأنه معرض عنهم، والعابد يعيش كأنه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدَّب الله به نبيه-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه-حين قال: (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) ٣٢٢.

الدرجة الثالثة: أن يظهر الكبر بلسانه، كالدعاوي والمفاخر، وتزكية النفس، وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملاً.

قال حبر الأمة عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-يقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك، وليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى. قال الله تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ٣٢٣.

وكذلك التكبر بالمال، والجمال، والقوة، وكثرة الأتباع، ونحو ذلك، فالكبر بالمال أكثر ما يجري بين الملوك والتجار ونحوهم.

والتكبر بالجمال أكثر ما يجري بين النساء، ويدعوهم إلى التنقص والغيبة وذكر العيوب.

وأما التكبر بالأتباع والأنصار، فيجري بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود، وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين.

وفي الجملة فكل ما يمكن أن يعتد كمالاً، فإن لم يكن في نفسه كمالاً، أمكن أن يتكبر به، حتى إن الفاسق قد يفتخر بكثرة شرب الخمر والفجور، لظنه أن ذلك كمال.

واعلم أن التكبر يظهر في شمائل الإنسان، كصعر ٣٢٤ وجهه، ونظره شراً، وإطراق رأسه، وجلوسه متربعاً ومتكئاً، وفي أقواله، حتى في صوته ونغمته، وصيغة إيراد الكلام، ويظهر ذلك أيضاً في مشيه وتبخرته، وقيامه وقعوده وحركاته وسكناته، وسائر وتقلباته... ٣٢٥.

(والكبر بالعلم، هو أعظم الآفات وأغلب الأدواء ٣٢٦ وأبعدها عن قبول العلاج إلا بشدة شديدة وجهد جهيد، وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله، عظيم عند الناس، وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما، بل: لا قدر لهما أصلاً إلا إذا كان معهما علم وعمل، ولذلك قال كعب الأحبار-رحمه الله تعالى-: (إنَّ للعلم طغياناً كطغيان المال). وقال عبد الله عمر-رضي الله تعالى عنه-: (العالم إذا زلَّ زلَّ بزله عالمٌ).

ولن يقدر العالم على دفع الكبر إلا بمعرفة أمرين:

أحدهما: أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عُشره من العالم، فإن من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنابته أفحش، إذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم.

الأمر الثاني: أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده، وأنه إذا تكبر صار ممقوتاً عند الله بغيضاً، وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له: إن لك عندي قدراً ما لم تر لنفسك قدراً، فإن رأيت لنفسك قدراً فلا قدر لك عندي، فلا بدَّ وأن يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه) ٣٢٧.

وأما العجب فإن آفاته كثيرة، قال ابن قدامة: (واعلم العجب يدعو إلى الكبر، لأنه أحد أسبابه، فيتولد من العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثير التي لا تخفى.

هذا مع العباد، وأما مع الله تعالى. فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدتها، لظنه أنه مستغن عن تفقدتها فينساها، وما يتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه، فلا يجتهد في تداركه أو: تلافيه، بل: يظن أنه يغفر له.

وأما العبادات والأعمال فإنه يستعظمها ويتبجح بها، ويمن على الله تعالى بفعلها، وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، ثم إذا أعجب بها عمي عن آفاتها، ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعاً، فإن الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة نقية من الشوائب قلما تنفع، وإنما يتفقد من يغلب عليه الإشفاق والخوف دون العجب.

والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه، ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان، وأن له عند الله منةً وحقاً بأعماله التي هي نعمة من نعمه، وعطية من عطايه، ويخرجه العجب إلى أن يشي على نفسه ويحمدنها ويذكرها.

وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة، ومن الاستشارة والسؤال، فيستبد بنفسه ورأيه ويستكف من سؤال من هو أعلم منه، وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره، ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه، ولا يسمع نصح ناصح، ولا وعظ واعظ، بل: ينظر إلى غيره بعين الاستجهال، ويصرُّ على خطئه، فإن كان رأيه في أمر دنيوي فيخفق فيه، وإن كان في أمر ديني لا سيما ٣٢٨ فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به.

ومن أعظم آفاته أن يفتر في السعي، لظنه أنه قد فاز، وأنه قد استغنى، وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه) ٣٢٩.

قال العلامة ابن القيم-رحمه الله تعالى-في الفرق بين صيانة النفس عما يشينها، وبين التكبر والعجب، في تفصيل دقيق واضح-: (والفرق بين الصيانة والتكبر: أن الصائن لنفسه بمنزلة رجل قد لبس ثوباً جديداً نقيّ البياض ذا ثمن، فهو يدخل به على الملوك فمن دونهم، فهو يصونه عن الوسخ والغبار والطُّبوع وأنواع الآثار إبقاءً على بياضه ونقاؤه، فتراه صاحب تغرُّزٍ وهروبٍ من المواضع التي يخشى منها عليه التلُّوث، فلا يسمح بأثرٍ ولا طبع ولا تلوثٍ يعلو ثوبه.

وإن أصابه شيء من ذلك على غرة-أي: فجأة-بادر إلى قلعه وإزالته ومحو أثره، وهكذا الصائن لقلبه ودينه تراه يجتنب طبوع الذنوب وآثارها، فإن لها في القلب طُبعاً وآثراً أعظم من الطُّبوع الفاحشة في الثوب النقيّ البياض، ولكن على العيون غشاوة أن تدرك تلك الطبوع.

فتراه يهرب من مظانّ التلوث، ويحترس من الخلق، ويتباعد من مخالطتهم مخافة أن يحصل لقلبه ما يحصل للشوب الذي يخالط الدّباغين والدّباحين والطّباخين وغيرهم.

بخلاف صاحب العلوّ، فإنّه وإن شابه هذا في تحرّزه وتجنبه فهو يقصد أن يعلو رقابهم ويجعلهم تحت قدميه، فهذا لون وذاك لون (٣٣٠).

وهذا إمام العلماء وقدوة السالكين وأسوة المؤمنين وسيد العالمين محمد-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- عبد الله ورسوله ومصطفاه وحبّيه، كان أشد الناس تواضعاً على علو منصبه ورفعته قدره.

قال أمير المؤمنين محمد بن إسماعيل البخاري: قال محمد بن عيسى: حدثنا هشيم، أخبرنا حميد الطويل، حدثنا أنس ابن مالك-رضي الله عنه-قال: (إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه-فتنطلق به حيث شاءت) (٣٣١).

وعن أنس بن مالك-رضي الله عنه-(أنه مرّ على صبيان فسلم عليهم وقال: كان النّبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه-يفعله) (٣٣٢).

وعن الأسود قال: سألت عائشة-رضي الله عنها-: (ما كان النّبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه-يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله-تعني خدمة أهله-فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة) (٣٣٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبي-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه-قال: (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم) فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: (نعم كنت أرهاها على قرابطة لأهل مكة) (٣٣٤).

قال الإمام مسلم في: (حديثه): (حدثني أبو غسان السّمعي، ومحمد بن المثنى، ومحمد بن بشار بن عثمان، واللفظ لأبي غسان وابن المثنى قالاً: حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن عياض بن حمار المَخاشعي أن رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-قال ذات يوم في خطبته:

"ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلتُه عبداً حلالاً، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم اتّهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، غرّبهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب.

وقال: إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان، وإن الله أمرني أن أحرّق قریشاً، فقلت: رب إذا يئسوا رأسي فيدعوه خيرة قال:

استخرجهم كما استخرجوك وأغزهم نغرك، وأنفق فسنتفق عليك، وأبعث جيشاً نبعت خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك قال: وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدّق موفّق، ورجل رحيم رقيق القلب، لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفّف ذو عيال، قال: وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الدين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دقّ إلا خانته، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلِكَ ومالك.

وذكر البخل أو: الكذب، والشّطيير الفحاش-ولم يذكر أبو غسان في حديثه-وأنفق فسنتفق عليك وحدثناه محمد بن المثنى العنزي، حدثنا محمد بن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، بهذا الإسناد ولم يذكر في حديثه: (كل مال نحلتُه عبداً حلالاً).

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشِيرٍ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ هِشَامِ صَاحِبِ الدَّسْتَوَائِي حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ- خَطَبَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَاقَ الْحَدِيثَ وَقَالَ فِي آخِرِهِ:

قَالَ يَحْيَى، قَالَ شُعْبَةُ: عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُطَرِّفًا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَحَدَّثَنِي أَبُو عَمَّارٍ حُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُطَرِّفٍ، حَدَّثَنِي قَتَادَةُ، عَنْ مُطَرِّفٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الشَّخِيرِ، عَنْ عِيَّاضِ ابْنِ حِمَارٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ قَالَ:

"قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ-ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ هِشَامٍ، عَنْ قَتَادَةَ وَزَادَ فِيهِ: "وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ".

وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: "وَهُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَقُلْتُ: فَيَكُونُ ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَدْرَكْتُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْعَى عَلَى الْحَيِّ مَا بِهِ إِلَّا وَلِيدَتُهُمْ يَطْوُهَا) ٣٣٥. والله در القائل:

أحسن أخلاق الفتى وأتمها
تواضعه للناس وهو رفيع
وأقبح شيء أن يرى المرء نفسه
رفيعاً وعند رب العالمين وضع

عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: (كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ، قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ- يَقُولُ: (يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ ٣٣٦، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفِرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكُتِبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ) ٣٣٧.

وفي رواية للإمام الهمام مسلم بن الحجاج: عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: إني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه- يقول: (إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ ٣٣٨ رَجُلٌ يَقَالَ لَهُ: أُوَيْسُ، وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بِيَاضٌ، فَمَرَّوه فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ).

والكبر والعجب من رعونات نفس تنسى أن ما بها من نعمة فمن الله، وأن الأمر كله لله، أما إذا تم العلم، فلا كبر ولا عجب لأنه: (إذا تم علم الإنسان لم ير لنفسه عملاً، وإنما يرى إنعام الموفقٍ لذلك العمل، الذي يمنع العاقل أن يرى لنفسه عملاً أو: يعجب به، وذلك بأشياء:

منها: أنه وفق لذلك العمل: (حب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم) ٣٣٩.

ومنها: أنه إذا قيس بالنعم لم يف بمعشار عشرها.

ومنها: أنه إذا لوحظت عظمة المخدوم، احتقر كل عمل وتعبّد.

هذا إذا سلم من شائبة، وخلص من غفلة، فأماً والغفلات تحيط به، فينبغي أن يغلب الحذر من رده، ويخاف العتاب على تقصيره فيه، فيشتغل عن النظر إليه.

وتأمل على الفطناء أحوالهم في ذلك، فالملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون قالوا: ما عبدناك حق عبادتك. والخليل-عليه السلام-يقول: (والذي أطمع أن يغفر لي) ٣٤٠ وما أدل بتصيره على النار وتسليمه الولد إلى الذبح. ورسوله الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه-يقول: ("لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ" قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "لَا وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدُّوا وَقَارِبُوا وَلَا يَتَمَتَّعَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِلَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ) ٣٤١.

وفي رواية قال: ("سَدُّوا وَقَارِبُوا، واعلموا أنه لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَالَ") ٣٤٢. وأبو بكر-رضي الله عنه-يقول: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟ وعمر-رضي الله عنه-يقول: لو أَنَّ لي طلاع الأرض لافنديت بها من هول ما أمامي قبل أن أعلم ما الخير. وابن مسعود-رضي الله عنه-يقول: (ليكني إذا متُّ لا أبعث).

وعائشة-رضي الله عنها-تقول: (ليكني كنت نسياً منسياً). وهذا شأن جميع العقلاء، فرضي الله عن الجميع. ولولا عزة الفهم ما تكبر متكبر على جنسه، ولكن كل كامل خائفاً محتقراً لعمله، حذراً من التقصير في شكر ما أنعم عليه به. وفهم هذا المشروح ينكس رأس الكبر، ويوجب مساكنة الذل، فتأمله فإنه أصل عظيم) ٣٤٣.

وعلى الجملة فما تحلى العالم بحلية أجمل، ولا ارتدى حلة أفخر من التواضع، وما تردى العالم برداءٍ أحقر، ولا تزيَّ بزِيٍّ أَسْوَأَ من الكبر والعجب.

لذلك وصى عمر-رضي الله تعالى عنه-أهل العلم بالتواضع، للمعلم والمتعلم سواء، وهي نصيحة غالية فاجعلها منك على ذكر أبداً.

قال عمر-رضي الله تعالى عنه-: (تعلَّموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه، ولمن علَّمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم جهلكم بعلمكم) ٣٤٤.

وكان أحمد بن حنبل-رحمه الله تعالى-على جلالته وإمامته من أشد الناس تواضعاً، قال عارم أبو النعمان: وضع أحمد عندي نفقته، فكان يجيء فيأخذ منها حاجته، فقلت له يوماً: يا أبا عبد الله، بلغني أنك من العرب فقال: يا أبا النعمان، نحن قوم مساكين، فلم يزل يدافعني حتى خرج، ولم يقل شيئاً.

وقال أبو بكر المروزي-رحمه الله تعالى-: قلت لأبي عبد الله-رحمه الله تعالى-: (إني لأرجو أن يكون يدعى لك في جميع الأمصار، فقال: يا أبا بكر، إذا عرف الرجل نفسه فما ينفعه كلام الناس؟) ٣٤٥ (...). وإلى هذا أشرت بقولي:

أُسْـدِي إِلَى الْإِخْوَانِ خَيْرَ نَصِيحَةٍ تُهْدِي النُّفُوسَ لِحُكْمَةٍ وَنَبَاهٍ
دُومُوا عَلَى التَّقْوَى وَحُسْنِ عِبَادَةٍ فَلَقَدْ بَلَغْتُمْ نَيْلَ فَضْلِ إِلَهِي

ثم قال: أخوك: أبو يوسف الأردني الأسير في سجون الطواغيت غفر الله له ولك. ولي أنا ناصر الدين البغدادي سؤال خاص ومهم لشيخنا الغالي بعد التحية والسلام والمحبة والإكرام لشيخنا الحبيب ومعلمنا الأديب عمر الحدوشي فرج الله عنه وكشف كربته.

أقول شيخخي الغالي: سمعت كلام سوء عن الشيخ الأسير أبي محمد الفزاري! ووالله لقد هالني الكلام عن الشيخ الحبيب! لاشك أني لم أصدق ما يقال فلست والله الحمد ممن يسمع كل من هب ودب بل: نحن أتباع: (فتبينوا) ولم أشك في الشيخ بتاتاً، لكني أحب أن أقطع دابر الشيطان اللعين وأسأل عن الشيخ هل لازال على منهج أهل الحق الصادعين بالحق الثائرين على الباطل رغم ظلام الظالمين وبطش الجبارين؟!.

وهل ما يقال من تقارب الشيخ مع مدير السجن وشدته على الإخوة صحيح؟! وما هي علاقتكم الحالية بالشيخ أو: بالأصح ما هي علاقة الشيخ بكم معشر أهل التوحيد والجهاد؟! هل هناك مشاكل لا قدر الله؟ وما طبيعة الخلاف إن كان هناك خلاف؟!.

حقيقة هذه أسئلة مهمة لي أنا العبد الفقير لأكون على بينة وبصيرة من أمري وكما طلب شيخنا الأردني منكم الدعاء فانا أطلبه أيضاً وزيادة وفقكم الله ورفع قدركم في الدارين سلامي إلى جميع الأحبة عندكم فرداً فرداً). وأقول في الجواب على هذا السؤال باختصار لأخينا ناصر الدين ما نصه:

يَا (نَاصِرًا) إِنَّ شَيْئًا تَلَقَّ إِجَابَةً عِنْدَ الْفَزَارِيِّ فَالْجَأْنُ لِلْقَاهِ
فَالشَّيْخُ فِي ذُنْبَاهُ حَرٌّ مُطْلَقٌ يَسْعَى بِكَوْنٍ جَلٍّ لِمُتْنَاهِ
فَهُوَ الْكَفِيلُ بِرِيٍّ حَرٍّ غَلِيلِكُمْ فَالشَّأْنُ صَاحٍ شَأْنُهُ وَاللَّهِ

وهنا يحلو لي أن أتمثل بقول الحريري:

وإن تجد عيباً فسد الخلا فجل من لا عيب فيه وعلا

(وقد ذيلته داخل زناتي الانفرادية بالسجن المحلي بتطوان بقولي:

فالمراء ذو نقص طبعي فلا تعجب إذا عمَّ القصور العقلا
فكلنا يُخطي وكل مبتلى فنسأل الله الختام الأجمل
زيد كعمرو لا ثقل ذا فُضلاً كلاهما من طينة قد جُبلأ
ميزان أعمالي إذا ما اعتدلاً فغايتي إحساني ذاك العمال ٣٤٦

وقلت أيضاً:

فنسأل الله لنا توفيقاً وأن يُري الحق لنا طريقاً
فكل سهو أو: خطأ في قولنا يغفره الله بفضلنا ٣٤٧

وقال أيضاً:

فكل داعٍ يجيب الله دعوته العفو كان بلطف الله مقروناً
أخلص له نيةً تظفر بمغفرة تشفي بها الهم والآلام والهونا
إن النجاة غداة الروع مُشَفَعَةٌ بطاعة الله، حتماً ترفع الدونا
سبحان ربي له الأفلاك ساجدة والناس طراً وما قد كان مخزوناً ٣٤٨

ويعلم الله ما في نفسي من الحزن على ما يقع للإسلام والمسلمين على يد الصليبيين والصهانية وعبيدهم من العرب
الخانعين والراكعين من حكام العرب الخونة-عليهم بهلة الله أجمعين أكتعين أبتعين أبصعين-وفي هذا أقول:

ولكن رجائي في الكريم وفضله يُفرج عن نفسي الحزينة كل غم
على العبد من مولاه سابغ نعمة فإن يصيرن يُؤجر وإن يشكرن غنم

وقولي:

سبحانه من عالم بحال كل معسر
منه الفلاح يُرتجى من عبده المفتقر

ولله در القائل:

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك أو: يُسليك أو: يتوجع

وذيلته بقولي:

فلا تأنفن من دمة مُهراقة تقرُّ بها بعد الحرارة أضلغ
ولا بأس من أنات قلب تهزّه أحاسيس شوق قد تضر وتنفع
أرى المرء في جمع يتم ائتناسه ورهن اعتزال وحشة يتقطّع
فكل بني الدنيا اجتماعي بطبعه إلى جنسه ينساق، بالفكر ينزغ

وقولي:

ما قد أصابك من خير فتكرمة من الإله، ومن سوء فقل حسناً

وقولي:

حباك إلهي كلّ فضل وميزة وثبت في الأرض أقوى الركائز ٣٤٩
فبشرى لك التكريم حالاً وموتلاً وليس كريم الأصل عن ذا بعاجز

وقولي:

يرى المحبين في بشرهم فيشعر بالغبن مما يرى
تضايقت الناس من حاله فإن يعدلوه فقد أعذرا!

وقولي:

هذي الطيور شوادي بلحنها المُستطاب

و طَيْبِ الرِّيحِ يَسْرِي من زَهْر تِلْكَ الرُّوَابِي
فَاغْنِمُ أَوْيَقَاتِ سَعْدٍ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ

و(غفر الله لقارئه، ولمن نظر فيه، وللسامعين ولمن سد خلاً وجد فيه إن اطلع، وكشط شيئاً قاله المؤلف فخرج بقوله عن الكتاب والسنة ووقع، لأن المؤلف قليل العلم، كثير الجهل، غافل عن أهوال يوم المَطْلَع، فرحم الله من دعا له بحسن الخاتمة، وأن يجعله ممن أطاع ربه، وذل لعزته وعظمته، وخضع.

يا ناظراً في كتابي حين تَقْرُؤُهُ عدل هديت بلا حيف ولا شطط
إن مر سهو فلا تعجل بسبك لي واعذر فلسْتُ بمعصوم عن الغلط) ٣٥٠.

وختاماً أود أن أذكر هنا أبيات الشيخ أبا يوسف - فرج الله عنا وعنه - مع أبياتي لتكون مسك الختام والله من وراء القصد، قال الشيخ أبو يوسف:

وهاك أبياتاً جاش بها الضمير، وإن كنت كمستبضع التمر إلى هجر، وكميتغي الصيد في عرين الأسد.
فالفضل للمبتدي وإن أحسن المقتدي، ويمسي أن يشفع حيي لكم فتروج بضاعتي المزجاة، ولعل ودي لكم أن يقوم بسوق تجارتي الكاسدة والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل:

سَلَّمَ عَلَى شَيْخِ الْعُلُومِ وَقُلْ لَهُ هَذَا خُطَابٌ مُحِبُّكُمْ فِي اللَّهِ
وَفُؤَادِهِ شَوْقاً مَقِيمٌ عِنْدَكُمْ لَا يَحْبِسُنَّ الرُّوحَ سَجَنٌ وَاهٍ
فَابْسُطْ يَمِينَكَ شَيْخَنَا فَلْعَلَّهَا حَمَلْتُ نَسَائِمُ قَبْلَةَ الْأَوَاهِ
لَتَحْطُ فِي لُطْفٍ عَلَى كَفِّ مَضَى يَصُنُّ ٣٥١ الْحَدِيثَ مِنْ افْتِرَاءِ سِفَاهِ
تَاللَّهِ إِنْ كَادَتْ جُسُوماً لِلْبَلَى فَعَبِيرُكُمْ لِلنَّفْسِ مِثْلَ الْمَاهِ ٣٥٢
وَالْقَلْبَ مَفْطُورَ لَطِيبِ حَدِيثِكُمْ وَلَذِكْرُ أَحْمَدَ طَيِّبَنَّ شِفَاهِ ٣٥٣
مَنْ ذَا يُلُومُ الصَّبَّ فِي أَوْصَافِكُمْ عَلِمَ يَزِينُ وَأَسْرُكُمُ فِي جَاهِ
فَاذْكُرْ أَخَاكَ بِدَعْوَةِ سَحَرِيَّةٍ تُنْجِي الظُّلُومَ لِنَفْسِهِ وَالسَّاهِي
مَنْ يَشْتَرِي التَّوْحِيدَ أَوْ: يَحْيَا بِهِ أَكْرَمَ بِصَفْقَتِهِ وَعَزَّ جِجَاهِ
فَالسَّجَنُ فِي الدُّنْيَا لِكَفَّارٍ وَإِنْ مَلِكِ التَّرَابِ وَأَقْصُرَ لِئِبَاهِي
وَالْحَرُّ هَمَّتُهُ إِلَى رَبِّي عَلاَ كُلِّ الطُّغَاةِ وَخَالَقِي وَالْهِي ٣٥٤

وقلت أنا كاتب هذه الحروف أبو الفضل عمر الحدوشي المغربي-فرج الله عنا وعنه:-

إِنِّي وَجَدْتُ الْعِلْمَ نَبْعاً يُجْتَبَى مِنْهُ الرَّشَادُ عَلَى الطَّرِيقِ الْبَاهِي
وَالْجَهْلُ ظُلُمَاتٌ هُنَالِكَ أُطِيقَتْ قَدْ ضَلَّ فِيهَا عَاقِلٌ وَاللَّاهِي
فَارَبَّأُ بِنَفْسِكَ أَنْ تَصِيرَ مُفَرِّطاً أَوْ: مُفَرِّطاً فِي عَالِمِ الْأَشْبَاهِ
الْبَيْعُ فَلْتَرْبَحْ وَلَا تَكُ مُفْلِساً يَوْمَ اللَّقَاءِ كَفَاغِرِي الْأَفْوَاهِ
إِنْ الْأَسِيرَ إِذَا أَتَى مُسْتَنْقِداً أَسْرَأَ سِوَاهُ بِعَزْمَةٍ وَبَدَاهِ

إِنْ كَانَ فِي هَذَا مَصَالِحُ رُجِّحْ لِكَلَيْهِمَا لَا بَأْسَ دُونَ كَرَاهِ
وَإِذَا تَرْتَّبَ عَنْهُ مَفْسَدَةٌ فَلَا فَاحْذَرْ مَخَاطِرَ إِنِّي لَكَ نَاهِي
أَحْسِنْ بِأَخَوَتِكَ الظَّنُّونَ فَإِنَّهُمْ بِشَرِّ ضِعَافٍ مِثْلَ بَضْعِ شَيْءٍ
نَذَرُوا النَّفْسَ إِلَى الْجِهَادِ وَأَخْلَصُوا لِلَّهِ أَعْمَالًا بِرَغَمِ دَوَاهِي
مَنْ يَحْتَكِمِ لِلشَّرْعِ فَهُوَ عِمَادُهُ يَمْتَنَحُ ٣٥٥ مِنْ تَقْوَى وَطِيبِ فَقَاهِ
وَإِذَا رَأَى فِي عُزْفٍ سَجْنٍ غَايَةً لِلْمُسْتَفِيدِ فَلَيْسَ ذَا بِشَبَاهِ ٣٥٦
تُرْعَى بِسُلْطَانٍ مَصَالِحٍ أُغْبِدِ فِيهِ مَنَاطُ مَعِيشَةٍ وَحَيَاهِ
أُسْدِي إِلَى الْإِخْوَانِ خَيْرَ نَصِيحَةٍ تُهْدِي النَّفْسَ لِحُكْمَةٍ وَنَبَاهِ
ذُومُوا عَلَى التَّقْوَى وَحُسْنِ عِبَادَةٍ فَلَقَدْ بَلَغْتُمْ نَيْلَ فَضْلِ إِلَهِي
يَا (نَاصِرًا) إِنْ شِئْتَ تَلَقَّ إِجَابَةً عِنْدَ الْفَزَازِيِّ فَالْجَأَنَّ لِلْقَاهِ
فَالشَّيْخُ فِي دُنْيَاهُ حُرٌّ مُطْلَقٌ يَسْمَعِي بِكَوْنٍ جَلٍّ لِامْتِنَاهِ
فَهُوَ الْكَفِيلُ بِرِيٍّ حَرٍّ غَلِيلِكُمْ فَالشَّأْنُ صَاحٍ شَأْنُهُ وَاللَّهِ

كتبه أخوكم المحبوس من أجل عقيدته ودينه بزنزاتته الانفرادية بالسجن المحلي أبو الفضل عمر بن مسعود ابن الشيخ
عمر بن حدوش الحدوشي بتطوان بتاريخ: ١٧ جمادى الأولى، ١٤٣٢ هـ الموافق: ٢١-أبريل ٢٠١١ م

=====

=====

مع تحيات إخوانكم في



مؤسسة المأسدة الإعلامية
(صوت شبكة شموخ الإسلام)

ادعوا لإخوانكم

- ١- انظر: (مفتاح السعادة، ومصباح السيادة) (٣٦/١)، و(قيمة الزمن) (ص: ٣١)، وكتابي: (كيف نطلب العلم؟ أو: كيف نصير محدثاً؟) (ص: ٨٣٧/٨٣٩).
- ٢- انظر: (صفحات من صبر العلماء) (ص: ٣٠٥/١٥٣ رقم الخبر: ٢٩٩/١٣٧)، وكتابي: (كيف نطلب العلم؟ أو: كيف نصير محدثاً؟) (ص: ٨٣٧/٨٣٩).
- ٣- انظر: (علو الهمة) (ص: ١٤٤).
- ٤- أو: (أينما وقعا) والصقع: الوقوع على الأرض اليابسة المستحجرة.
- ٥- كرع من الماء: عبّ وشرب.
- ٦- انظر: (روضة العقلاء) (ص: ٣٥).
- ٧- قال شيخنا العلامة الأديب أبو الفضل عمر الحدوشي-فرج الله عنه-: ليت الشيخ الشاعر الشاب قال: يَحْمِي الحديث من افتراء سِفاهٍ...
- ٨- قال شيخنا العلامة الأديب أبو الفضل عمر الحدوشي-فرج الله عنه-: ليت الشيخ الشاعر الشاب قال: فعبيركم للنفس كالأموا...
- ٩- قال شيخنا العلامة الأديب أبو الفضل عمر الحدوشي-فرج الله عنه-: ليت الشيخ الشاعر الشاب قال: وَلَذِكْرُ أَحْمَدَ طَيْبُ كُلِّ شِفَاهٍ....
- ١٠- قال شيخنا العلامة الأديب أبو الفضل عمر الحدوشي-فرج الله عنه-: ليت الشيخ الشاعر الشاب قال: وخالقي قَسَمٌ إلهي....
- ١١- يا حبذا لو كان الشباب كلهم مثلك يأخذون بهذا المنهج القويم.
- ١٢- قال عمر بن الخطاب-رضي الله عنه: (حسن السؤال نصف العلم). وقد قرأت في: (السير) في تراجم بعض الأعلام وقد سئل بماذا حصّلت هذا العلم؟ فأجاب: (... بلسان سؤال). يسألون تفقهاً لا تعنتاً وإعجازاً.
- قال الخليل: (حين أردت النحو أتيت الحلقة فجلست سنة لا أتكلم، إنما أسمع، فلما كانت السنة الثانية نظرت، فلما كانت السنة الثالثة تدبرت، فلما كانت السنة الرابعة: سألت وتكلمت). (الفقيه) (١٠١/٢).
- وقال يحيى بن معاذ الرازي-رحمه الله تعالى-: (الكلام حسن، وأحسن من الكلام معناه، وأحسن من معناه استعماله، وأحسن من استعماله ثوابه، وأحسن من ثوابه رضا من عملت له). انظر: (شعب الإيمان) (٤٢٢/٤)، و(فتح الباري) (١٣٨/١٢).
- ١٣- ولذا يرى العلماء أن الطالب: (إذا حضر ناعساً أو: مغموماً، أو: مشغول القلب، أو: قد بطر فرحاً، أو: امتلاً غضباً لم يقبل قلبه ما سمع وإن ردد عليه الشيء وكرره، فإن فهم لم يثبت في قلبه ما فهمه حتى ينساه، وإن استعجم قلبه على الفهم كان ذلك داعية الفقيه إلى الضجر للمتعلم وإلى الملل).
- ١٤- رواه الخطيب في: (الفقيه) (١٠٠/٢).
- ١٥- قال مالك بن دينار-رحمه الله تعالى-: (إذا طلب الرجل العلم ليعمل به سره علمه، وإذا طلب العلم لغير أن يعمل به زاده علمه فخراً). وقال سفيان الثوري-رحمه الله تعالى-: (العلم طيب الدين، والدرهم داء الدين، فإذا اجتر الطبيب الداء في نفسه، فمضى يداوي غيره؟). انظر: (روضة العقلاء) (ص: ٣٥).
- ١٦- قال ابن حبان-رحمه الله تعالى-في: (روضة العقلاء) (ص: ٣٩): (... لأن أول بركة العلم الإفادة، وما رأيت أحداً قط بخل بالعلم إلا لم ينتفع بعلمه، وكما لا ينتفع بالماء الساكن تحت الأرض ما لم يَنْبُغْ، ولا بالذهب الأحمر ما لم يُستخرج من معدنه، ولا باللؤلؤ النفيس ما لم يخرج من بحره، كذلك لا ينتفع بالعلم ما دام مكنوناً لا ينشر ولا يفاد).
- ثم ذكر سنده المتصل إلى ابن المبارك قال: (من بخل بالحديث يتلى بإحدى ثلاث:
- ١- إما أن يموت فيذهب علمه،
- ٢- أو: ينسى،
- ٣- أو: يتلى بالسلطان).
- قال الحافظ السخاوي-رحمه الله تعالى-في: (الإعلان) (ص: ٧٧): (وذكر في ترجمة الحافظ الشمس أبي العباس محمد بن موسى بن سند أنه تغير ذهنه في آخر عمره، ونسي غالب محفوظاته حتى القرآن، وأنه قيل: إن ذلك كان عقوبة من الله له، لكثرة وقيعته في الناس. على أن ذلك قد وقع للبرهان

الخلي، مع أنه لم يكن يتعرض لأحد، بل: كان ورعاً زاهداً، ولكنه تراجع قبل موته. ونظيره قولهم: إنما يخرف الكذابون، فإنه قد يخرف من لم يوصف بذلك).

١٧- قال وكيع-رحمه الله تعالى-: (استعينوا على الحفظ بترك المعصية). انظر: (روضة العقلاء) (ص: ٣٩). وقال الإمام أحمد-رحمه الله تعالى-: (استعينوا على حفظ الحديث بالعمل به). قال الحافظ الذهبي-رحمه الله تعالى-في: (تاريخه) (٣٨٣/٤-رقم: ١٥٠-ترجمة: سفيان الثوري): (فغن وكيع أن والدة سفيان قالت له: يا بني اطلب العلم وأنا أعولك بمغزلي، وإذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في الخير، فإن لم تر ذلك فلا تتعّن).

قال أبو الفضل عمر الحدوشي: عند ما تحفظ حديثاً، أو: قاعدة، أو: فائدة، استحضر نصب عينيك العمل بها حتى ترسخ في الذهن وتثبت، أما إذا كان همك من الحفظ والعلم: القول فقط فاعلم أنه سيرحل من صدرك بمجرد ما تفرغ من القول... أي: بمجرد ما تلقي منه خطبة، أو: موعظة، أو: محاضرة.

١٨- فإذا أردت التوسع في هذا فعليك بكتاب. انظر: (مفتاح دار السعادة) (١٧٢/١) لابن القيم.

١٩- أُل في (الإنسان) لاستغراق الجنس. أي: كل وجنس الإنسان في خسر-ثم استثنى: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

٢٠- نظر: (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٢٦٧\١٢-رقم: ٣٥).

٢١- وقال الحافظ الذهبي-رحمه الله تعالى-في: (تذكرة الحفاظ) (١٠٣١/٣): (وأما اليوم فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل، في أناس قليل، ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل، فحسبنا الله ونعم الوكيل).

وقال أيضاً: (وقد قلَّ من يعتني بالآثار ومَحَلَّتْها في هذا الوقت في مشارق الأرض ومغاربها، على رأس السبعمائة: أما المشرق وأقاليمه فغلق الباب وانقطع الخطاب، والله المستعان. وأما المغرب وما بقي من جزيرة الأندلس فيندر من يعتني بالرواية كما ينبغي فضلاً عن الدراية). انظر: (تذكرة الحفاظ) (١٤٨٥/٤).

وقال أيضاً في كتابه القيم: (السير) (٥٩٠/١٢): (كذا فليكن الحفظ، وإلا فلا! فَيَعْنَا اليوم بالاسم بلا جسم، فلو رأى الناس في وقتنا من يروي ألف حديث بأسانيدها حفظاً لانبهروا له). وقال أيضاً في: (التذكرة) (٤/١): (... فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت أن لا أراهم إلا في كتاب أو: تحت تراب). انتهى من كتابي: (ذاكرة سجين مكافح) (٦٨/٢).

٢٢- انظر: (جامع بيان العلم وفضله) (١١٢٩\٢).

٢٣- رواه البخاري ومسلم في: (صحيحهما)، وأحمد في: (مسنده) وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو-كما تقدم-

٢٤- انظر: (شرح السنة) (٤/٣/١) للبغوي.

٢٥- وفي هامش: (الموافقات) (٣٧١/٥): (أي: وأما غير المشروع، فهو أن يسأله عن حكم حادثة نزلت به مثلاً مما يجب عليه أن يرجع فيه إلى اجتهاد نفسه، بحيث لا يجوز له أن يقلد مجتهداً آخر، والوجه الستة التي ذكرها خارجة عن موضوع التقليد الممنوع).

٢٦- وفي هامش: (الموافقات) (٣٧١/٥): (أي: مما لم يكن عن اجتهاد، بل: كتلقي حديث أو: بحث في رواية وما أشبه ذلك).

٢٧- وفي هامش: (الموافقات) (٣٧١/٥): (وهذه الكلمة القصيرة تضمنت أهم أركان فن التربية العلمية المسمى بالبيداغوجيا، وهو بناء المعلم لتعليم تلميذه شيئاً جديداً على ما تعلمه قبل، فقد كان نتيجة لمقدمات، ثم يصير بعد علمه به مقدمة لمسألة جديدة، وهكذا).

٢٨- وفي هامش: (الموافقات) (٣٧٢/٥): (ويشترك معه فيه بعض وجوه القسم الأول والثاني).

٢٩- وفي هامش: (الموافقات) (٣٧٢/٥): (عبر بذلك دون مطلوب شرعاً، لأنه قد لا يكون كذلك، كما يعلم من مراجعة التفاصيل التي ذكرها لهذه الأقسام الثلاثة، أما قوله في الرابع: "فليس بمستحق"، فإنه أراد به لازماً شرعاً كما يقتضيه قوله: "فيلزم الجواب....").

٣٠- وفي هامش: (الموافقات) (٣٧٢/٥): (أي: كما أشار إليه بعد بقوله: "وقد لا يجوز....").

٣١- وفي هامش: (الموافقات) (٣٧٢/٥): (قالوا: إن للمفتي رد الفتوى إذا كان في البلد غيره أهلاً لها شرعاً، خلافاً للحلبي). انظر: (البحر الرائق) (٢٦٠/٦)، و(المجموع) (٤٥٠/١) للحافظ النووي، و(منتهى الإرادات) (٥٧/٤-٤) بذيّل كشف القناع، و(مباحث في أحكام الفتوى) (ص: ٤٠)، و(الفتيا ومناهج الإفتاء) (ص: ٢٤).

٣٢- وفي هامش: (الموافقات) (٣٧٢/٥): (لأن الاجتهاد إنما يباح عند الضرورة....).

٣٣- وفي هامش: (الموافقات) (٣٧٢/٥): (أي: وإن لم يقع بالفعل).

- ٣٤- وفي هامش: (الموافقات) (٣٧٣/٥): (ينظر: هل يجب عليه بذل الوسع عند استيفاء الشروط المذكورة وإن لم يصل كما كان مالك يفعل؟ وهو المنقول عن أبي الخطاب، وابن عقيل وغيرهما، فيحمل عليه كلامه بأن الذي لا يلزمه إنما هو جواب المسألة لأنه قد لا يصل إليه اجتهاده).
- وقد سئل سحنون (المتوفى: ٢٤٠ هـ) -رحمه الله-: (أيسع العالم أن يقول: لا أدري: فيما يدري؟ قال: "أما ما فيه كتاب أو: سنة ثابتة، فلا، وأما ما كان من هذا الرأي، فإنه يسعه ذلك، لأنه لا يدري أمصيب هو أم مخطئ". ذكره الذهبي في: (السير) (٦٥/١٢)...).
- ٣٥- وفي هامش: (الموافقات) (٣٧٣/٥): (قال ابن عقيل: "في هذا تحريم الإجابة، ولعله المراد بقول ابن الجوزي: لا ينبغي"...).
- ٣٦- انظر: (الموافقات) (٣٦٩/٥ إلى ٣٩٢)، تحت عنوان: (النظر الثاني في أحكام السؤال والجواب وهو علم الجدل...)، بتحقيق: مشهور بن حسن، من مطبوعات: دار ابن عفان..
- ٣٧- وقال الأحنف -رحمه الله تعالى-: (... وكل عز لم يؤكّد بعلم فألى ذل...) انظر: (جامع بيان العلم وفضله) (٢٥٦/١ رقم: ٣٠٩)، و(الخطبة) (ص: ٣٨).
- ٣٨- ولا يصح مرفوعاً انظر: (الآلج) (١٩٧/١)، و(السلسلة الضعيفة) المجلد الأول (رقم: ٣٨١)، و(ضعيف الجامع) (٤٩٢٩-موضوع). وقال العامري -رحمه الله تعالى-: في (الجد الحثيث...) (ص: ١٤١ رقم: ٥٥٩): (ليس من خلق المؤمن التملق ولا الحسد إلا في طلب العلم: فإن الحسد مبدأ الحقد، كما بينه صاحب "الإحياء").
- وقال المعلق فوز أحمد: (رواه ابن عدي في "الكامل" (٢٩٨/٢)، و(١٠/٥)، والبيهقي في: (الشعب) (٢٢٤/٤ رقم: ٤٨٦٣)، وفي سننه:
- ١- الحسن بن دينار -رحمه الله تعالى-: تركه العلماء. انظر: (اللسان) (٢٠٤/٢٠٣)، و(الكامل) (٣٠٣/٢٩٦/٢).
- ٢- الخصيب بن جحدر -رحمه الله تعالى-: صدوق، سيء الحفظ. انظر: (التقريب) (٢٢٤/١)، و(التهذيب) (١٤٤/١٤٣/٣)، وفي الباب عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: رواه البيهقي في: (الشعب) (٢٢٤/٤) وضعفه البيهقي).
- قال المحبوس في سبيل عقيدته ودينه في سجون العلمانيين: (الحسن بن دينار أبو سعيد التميمي. (وهو الحسن بن واصل): قال عنه المعلمي في: (الفوائد المجموعة...) (ص: ٧٣) في كتاب: صدقة الغرض والتطوع والهدية والقرض والضيافة: "...الحسن كذبه جماعة من الأئمة، والحجة معهم، فلا اعتداد بقول الفلاس -رحمه الله تعالى-: "ما هو عندي من أهل الكذب، ولكن لم يكن بالحافظ"، ولا قول ابن المبارك: "لا أعلم إلا خيراً الخ"... وقال في: (ص: ٢٢١): "والحسن بن دينار متروك، بل: قال جماعة من الأئمة: "كذاب"، ولم يدرك أبا أمامة ولا أحداً من الصحابة". انظر: (النكت الجياد المنتخبة من شيخ النقاد...) (ص: ٢٧٥/٢٧٦ رقم: ١٧٩).
- ٣٩- انظر: (الكامل في ضعفاء الرجال) (٧٥/١) لابن عدي. وشعبة هذا يقول عنه الثوري: (مات الحديث بموت شعبة) (كوثر المعاني) (٤٠٤/١).
- ٤٠- أخرجه أبو نعيم (١٥٤/٧)، وأخرج الخطيب نحوه في: (الجامع) (٣١٩/٣١٨) من طريقين عن شعبة به. انظر: (الجامع) (٥١٢/١) لابن رجب، و(تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٧٣/٤ رقم: ٨٩).
- ٤١- انظر: (آداب الدين والدنيا) (ص: ٧٥).
- ٤٢- انظر: (آداب الدين والدنيا) (ص: ٧٦).
- ٤٣- انظر: (تذكرة السامع والمتكلم) (ص: ٨٧). ففيه ما يقوم سلوك الطالب المعوج.
- ٤٤- انظر: (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٥٧١/١٢) فقد ذكر الذهبي فيه ما ينبغي أن يكون عليه ويتأدب به الطالب مع أستاذه، وذكر في: (٥٧٤/١٢) أن الطالب ينبغي أن لا يتحدث مع جلسه في الدرس، بل: يقبل على الدرس.
- ٤٥- فائدة: جاء في: (كتاب السلسيل في شرح ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل) (ص: ١٣٨ رقم: ٢١٢) في الفصل الثالث: (ألفاظ وعبارات ذات صلة بالجرح والتعديل)، (الثامن عشر: من تلويحات الأئمة في عباراتهم) ما نصه قال: (سمعت الحافظ علي بن محمد يقول: سمعت الحافظ أبا محمد المنذري يقول: سألت شيخنا أبا الحسن علي بن المفضل الحافظ عن أربعة تعاصروا؟ فقال: من هم؟ قلت: الحافظ ابن عساكر، والحافظ ابن ناصر. فقال: ابن عساكر أحفظ. قلت: ابن عساكر، وأبو موسى المديني؟ قال: ابن عساكر. قلت: ابن عساكر، وأبو طاهر السلفي؟ فقال: السلفي شيخنا، السلفي شيخنا. قلت-القاتل: الحافظ الذهبي-: لَوْحُ بأن ابن عساكر أحفظ، ولكن تأدب مع شيخه، وقال لفظاً محتملاً أيضاً لتفضيل أبي طاهر، والله أعلم). انظر: (سير أعلام النبلاء) (٥٦٧/٢٠) (٥٦٨).

- وقال أيضاً في: (السير) (٢٥/٢١): (فهذا الجواب محتمل كما ترى، والظاهر أنه أراد بالسلفي المبتدأ، وبشيخنا الخبر، ولم يقصد الوصف، وإلا فلا يشك عارف بالحديث أن أبا القاسم حافظ زمانه، وأنه لم ير مثل نفسه).
- وقال أيضاً في: (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٨١/٤٠): (يعني: أنه ما أحب أن يصرح بأن ابن عساكر أفضل من السلفي، ولوح بأنه شيخه، ويكفي هذا في الإشارة). انتهى من هامش: (شفاء التبريح... (ص: ٤٦٧).
- ٤٦- انظر: (فضل العلم) (١٣٠/١٢٩) لمحمد سعيد رسلان.
- وذكر الذهبي في ترجمة إسرائيل بن يونس أنه قال: (... لقيت العلماء وأخذت من آدابهم). ثم ذكر كلاماً طويلاً يتعلق بأدب الطالب مع شيخه. انظره في: (تاريخ الإسلام) (٣٠٨/٤) رقم: ٢١).
- ٤٧- انظر: (المجموع) (٣٦/١).
- ٤٨- انظر: (الآداب الشرعية) لابن مفلح (٢٢٦/١).
- ٤٩- قال الحافظ الذهبي في: (تاريخه) (٣١٣/١٥١/٥): (وقال محمد بن هارون الزنجاني: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: قلت لأبي: يا أباي، أي رجل كان الشافعي؟ فيني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ فقال لي: يا بني، كان الشافعي كالشمس للدين، وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف، أو: منهما عوض؟ الزنجاني مجهول... وقال الميموني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ستة أدعو لهم سَخراً أحدهم الشافعي).
- و(قال عبد الرحمن بن مهدي-رحمه الله تعالى-: ما أصلي صلاة إلا وأنا أدعو للشافعي فيها). وقال أيضاً في (١٥٣/٥) رقم: ٣١٣: (وقال الحارث بن سريج النقال: سمعت يحيى القطان-رحمه الله تعالى- يقول: أدعو الله للشافعي أحصه به). وكان الإمام أحمد-رحمه الله تعالى- يقول: (ما حمل أحد بحجة ولا قلماً إلا وللشافعي في عنقه منة).
- ٥٠- انظر: (مناقب الإمام أحمد) (ص: ٨٣/٨٢).
- ٥١- انظر: (مناقب الإمام أحمد) (ص: ٢٧٤/٢٧٣).
- ٥٢- وأورده السخاوي في: (الإعلان) (ص: ٤٨) بلفظ: (الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلي من كثير من الفقه، لأنها آداب القوم).
- ٥٣- وأذكر هنا بيتاً من قصيدة لي كنت بعثت بها إلى شيخنا ونصه:
- فيا شيعي لأنت أب رعو ف * بمثلي نَعَم إنسان رعو ف
- كتبه عمر الحدوشي ليلة الجمعة ٦ جمادى الثانية ١٤٢٨ هـ بالسجن المحلي بتطوان.
- ٥٤- الجوهر: ما يقبل التحيز، أو: ما يشغل الحيز. (التعريفات) (ص: ٧١) للأنصاري.
- ٥٥- من مقدمة أم الفضل لكتابي: (نشر العبير في نظم قواعد التفسير) (ص: ٧/٦). لكن بتصرف يسير مني.
- ٥٦- انظر: (أدب الإمام والاستماع) (ص: ٤٥)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٤).
- ٥٧- انظر: (تذكرة السامع والمتكلم) (ص: ٩١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٤).
- ٥٨- انظر: (أدب الإمام والاستماع) (ص: ١٤٦)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٥).
- ٥٩- انظر: (تحذيب غذاء الألباب شرح منظومة الآداب) للسفاري، تحذيب محمد بن حسين يعقوب (ص: ٢٧).
- ٦٠- انظر: (تحذيب غذاء الألباب شرح منظومة الآداب) للسفاري، تحذيب محمد بن حسين يعقوب (ص: ٥).
- ٦١- انظر: (جامع بيان العلم) (٥٢٩/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٥).
- ٦٢- انظر: (الجامع للخطيب، (٢٢٢/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٥).
- ٦٣- انظر: (الفتح الرباني) (ص: ٢٢)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٥).
- ٦٤- انظر: (جامع بيان العلم) (ص: ٢٢٢)، و(آفات العلم) (ص: ٥٩).
- ٦٥- انظر: (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) (١٩٨/١)، و(تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (١٢٩/٦٤٨/٤) رقم: ١٢٩-ترجمة: شريك القاضي، و(مسند علي بن الجعد) (رقم: ٢٥٣٨)، و(ذاكرة سجين مكافح) (٧٧/٣)، و(آفات العلم) (ص: ٦٦).
- ٦٦- انظر: (الفقيه والمتفقه) (٢١/١)، و(آفات العلم) (ص: ٦٦).
- ٦٧- انظر: (السير) (٣٩٨/١٩)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢١).
- ٦٨- انظر: (جامع بيان العلم وفضله) (٣٨٢/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢١).
- ٦٩- انظر: (جامع بيان العلم وفضله) (٥١٩/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢١).

- ٧٠- انظر: (الجامع للخطيب (٢٠٩/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢١).
- ٧١- انظر: (الجامع للخطيب (٢٠٩/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢١).
- ٧٢- انظر: (الجامع (٢١١/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢١)-والمقصود بالحسد هنا: المشروع منه، وهو الغبطة، لا المذموم الذي هو: تمني زوال النعمة عن الغير).
- ٧٣- انظر: (الجامع للخطيب (٢١٠/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٢).
- ٧٤- انظر: (الجامع للخطيب (٢١٠/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٢).
- ٧٥- يخزن، أي: يجبس عنه بعض الأحاديث، من خَزَنَ الماء: إذا أحرزه وحبسه. انظر: (حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٢).
- ٧٦- أي: يبره ويحسن معاملته. انظر: (حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٢).
- ٧٧- انظر: (الجامع للخطيب (٢٠٩/١)، ويقال: غَرَّ الطائرُ فَرَّخَهُ غَرًّا، وَغَرَّارًا: أطعمه بمنقاره، وفي: (طبقات الشافعية) (١٣٤/٢): أن الإمام الشافعي قال لتلميذه الربيع بن سليمان المرادي: "لو أمكنتني أن أطعمك العلم لأطعمتك". انتهى من هامش: (حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٢).
- ٧٨- انظر: (حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٣).
- ٧٩- والأصل في ذلك قوله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: (ليس منا من لم يُجَلِّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه). رواه أحمد (٣٢٣/٥) وصححه أحمد شاكر، وتحقيق المسند، والحاكم في (المستدرک) (١٢٢/١) من حديث عبادة بن الصامت وصححه، وحسنه الألباني (صحيح الجامع) (رقم: ٥٣١٩).
- ٨٠- انظر: (فتح الباري) (٤٠٠/١)، و(تهذيب غذاء الألباب، شرح منظومة الأدب) (ص: ٢٧).
- ٨١- انظر: (الجامع لأدب الراوي والسماع) (٧٩/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٣٨).
- ٨٢- قال الشيخ محمد أحمد المقدم في كتابه (حرمة أهل العلم) (ص: ١٣٩): (وهدي الرجل: سيرته العامة والخاصة، وحاله، وأخلاقه. ولأن "خير الهدي هدي محمد ﷺ" فقد كان السلف يرمقون من كان أولى الناس وأقومهم بهدي ﷺ، فحينئذ يرتضونه أسوة وقودة، ويتنفعون بلحظه ولفظه، ويصدرون عن خلقه وسلوكه، ويدونون هذا الهدي لتناقله الأجيال وتنفع به).
- وقال: (وما يزال بعض الناس إلى عهد قريب-في بلاد الهند وما والاها-يراقبون ما يصدر عن من وصل في نظرهم إلى هذا المقام، فيكتبون عنه ما يقول وما يفعل، ويجمعون ذلك في كتاب يسمونه: (الملفوظات) أو: (الفیوضات).
- انظر: (صفحات في أدب الرأي) (ص: ٦١) للشيخ محمد عوامة. ذكر الراغب الأصبهاني: أن المنصور بعث إلى من في الحبس من بني أمية، يقول لهم: (ما أشد ما مَرَّ بكم في هذا الحبس؟)، فقالوا: (ما فقدنا من تربية أولادنا).
- راجع: (تربية الأولاد في الإسلام) (١٥٢/٢) للشيخ عبد الله ناصح علوان، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٣٦). فقد اهتم علماءنا بالأدب فعدوا في مصنفاتهم (الجوامع): كتاب الأدب، وبعضهم أفردوا بالتصنيف كما فعل البخاري في: (الأدب المفرد)، وابن مفلح في كتابه القيم: (الآداب الشرعية، والمنح المرعية)، والسفاري في: (غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب).
- و(الجامع)، و(الفقيه والمتفقه) كلاهما للخطيب، و(تعليم المتعلم طريق التعلم) للزرنوجي، و(آداب الطلب ومنتهى الأرب) للشوكاني، و(أخلاق العلماء) للآجري، و(آداب المتعلمين) لسحنون، و(الرسالة المفصلة لأحكام المتعلمين) للقابسي، و(تذكرة السامع والمتعلم) لابن جماعة، و(الحث على طلب العلم) للعسكري، و(فضل علم السلف على الخلف) لابن رجب، و(جامع بيان العلم وفضله) لابن عبد البر، و(العلم وفضله وطلبه) للأمين الحاج، و(مفتاح دار السعادة) لابن القيم، و(شرح الإحياء) للزبيدي، و(جواهر العقدين) للسهمودي، و(من أخلاق العلماء) لمحمد سليمان، و(مناهج العلماء) لفاروق السامرائي، و(التعليم والإرشاد) لبدر الدين الحلبي، و(التعاليم)، و(حلية طالب العلم) كلاهما لبكر عبد الله أبي زيد، و(حرمة أهل العلم)، و(علو الهمة)، و(إيقاظ الهمة) وغيرها كثير.
- ٨٣- انظر: (الجامع) (٧٩/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٣٧).
- ٨٤- انظر: (جامع بيان العلم وفضله) (٧١٠/١ رقم: ١٢٨٧)، و(الحلية) (٣٢٤/٦)، و(المدونة) (ص: ١٢).
- ٨٥- انظر: (حلية الأولياء) (٣٣٠/٦) و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٣٧). وقال الإمام مالك: (كانت أُمي تعممني، وتقول لي: اذهب إلى ربيعة، فتعلم من أدبه قبل علمه). (ترتيب المدارك) (١١٩/١).
- ٨٦- انظر: (حلية الأولياء) (٣١٩/٦) و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٤١).

- ٨٧- سورة الأحزاب، رقم الآية: (٢١). راجع هذه الآثار في: (الجامع لأدب الراوي والسماع) (١٥٦/١٤٢/٧٩/٧٨/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٣٧/١٣٨).
- ٨٨- انظر: (طبقات المفسرين) (٣٦/٢)، و(الجامع للخطيب) (١٥٨/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٧).
- ٨٩- انظر: (أدب المفتي والمستفتي)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٥).
- ٩٠- انظر: (الجامع للخطيب) (٢١٢/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٧).
- ٩١- انظر: (الفقيه المتفقه للخطيب) (١٧٩/٢)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٨).
- ٩٢- انظر: (الجامع للخطيب) (٢١٢/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٥٧).
- ٩٣- انظر: (الجامع للخطيب) (٢٢٣/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٥).
- ٩٤- انظر: (الحلية) (٧٩/٧)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٣٧).
- ٩٥- انظر: (نزهة الفضلاء) (١٠٠٦/٢)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٣٧).
- ٩٦- انظر: (مدارج السالكين) (٣٨١/٢)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٣٧).
- ٩٧- انظر: (حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٠). وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك: (نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث). كما في: (تذكرة السامع والمتكلم) (ص: ٣). وقال بعضهم لابنه: (يا بني! لأن تتعلم باباً من الأدب، أحب إلي من أن تتعلم باباً من أبواب العلم) (تذكرة السامع والمتكلم) (ص: ٣/٢).
- وقال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد: قال لي أبي: (يا بني إيت الفقهاء والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديبهم، فإن ذاك أحب إلي من كثير من الحديث). انظر: (الجامع) (٨٠/١) للخطيب، وفي لفظ: (يا بني اصحب الفقهاء والعلماء، وخذ من أدبهم، فإن ذلك أحب إلي من كثير من الحديث).
- قال إبراهيم النخعي -رحمه الله تعالى-: (كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته، وإلى صلاته، وإلى حاله، ثم يأخذون عنه). انظر: (تهذيب غذاء الألباب، شرح منظومة الأدب) (ص: ٢٧).
- ٩٨- انظر: (توالي التأسيس بمعالي محمد بن إدريس) (ص: ١٠٥)، قال شيخنا أبو غدة في: (قيمة الزمن عند العلماء) (ص: ٢٩) بعد أن ذكر هذه المحاور التي رواها المزني عن شيخه: - (ومثل هذا الشغف والعشق! للعلم يتكون النبوغ والإمامة فيه).
- ٩٩- انظر: (حلية الأولياء) (٣٦١/٦)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٠).
- ١٠٠- انظر: (لباب الآداب) (ص: ٢٢٧)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٠). قال إبراهيم النخعي -رحمه الله تعالى-: (كنا إذا أردنا أن نأخذ عن شيخ، سألتنا عن مطعمه ومشربه ومدخله ومخرجه، فإن كان على استواء أخذنا عنه، وإلا لم نأته). انظر: (الكامل في ضعفاء الرجال) (١٥٤/١).
- ١٠١- عملك تقدم الميم على اللام، لكن المشهور تقدم اللام على الميم: (عَلَمَك)، كما حفظنا من فم شيخنا محمد البقالي..
- ١٠٢- قال العلامة المطلع بكر بن عبد الله أبو زيد في: (حلية طالب العلم) (ص: ٥٧): (احذر ما يتسلى به المفلسون من العلم، يراجع مسألة أو: مسألتين، فإن كان في مجلس فيه من يشار إليه أثار البحث فيها، ليظهر علمه، وكم في هذا من سوء أفلها: أن يعلم أن الناس يعلمون حقي). انظر: (حرمة أهل العلم) (ص: ٢٣١/٢٣٠).
- ١٠٣- انظر: (الفروق للقرافي) (٩٦/٣)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٣٧).
- ١٠٤- قال الحافظ ابن حجر في: (فتح الباري) (١٤١/١): (والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته وما يجب من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص. ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه).
- والحاصل: أن العلم الممدوح في الكتاب والسنة: هو العلم المنزل من السماء إلى الأرض، العلم الموحى من الله تعالى إلى نبيه المصطفى وحببيه المجتبي من الكتاب والسنة -مطلقاً- وما تفرع عنهما من العلوم الشرعية المرعَّب فيها، والممدوحة بإطلاق. انظر أمثلة العلوم الممدوحة بإطلاق، والممدوحة في حال دون حال، والمذمومة بإطلاق، والمذمومة في حال دون حال في كتاب: (الجامع في طلب العلم الشريف) (١٥/١) مع أخذ الحذر والحيطه مما فيه من الغلو والتنطع.
- ١٠٥- رواه الترمذي في: (جامعه) (٣٦٣/٤) بإسناد صحيح -وصححه الألباني وغيره-.
- ١٠٦- رواه الترمذي في: (جامعه) (٣٦٣/٤) بإسناد صحيح -وصححه الألباني وغيره-.

- ١٠٧- رواه مالك في: (الموطأ) (رقم: ١٦٣٤)، وأحمد في: (المسند) (٣٨١/٢)، والبخاري في: (الأدب المفرد) (٢٧١\١/رقم: ٢٧٤)، والحاكم في: (المستدرک) (٦١٣\٢)، وقال: (صحيح على شرط مسلم)، وسكت عليه الذهبي-وصححه الألباني في: (الصحيحة) (١١٢/١/رقم: ٤٥)، وقد توسعت في تخرجه في كتابي: (الأربعون حديثاً في فضل السنة) (ص: ٣١\٣٢/رقم: ١١).
- وقال فضل الله الجياني في: (فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد) (٢٧١\١): (لا يكون ديناً من (الأديان!) خالياً من مكارم الأخلاق، ولكن لم تكن الأخلاق الكريمة مجموعة كلها في دين من (الأديان) السابقة حتى جمع الله في دين الإسلام كل ما كان من أخلاق حسنة في دين دين!، فهذا معنى: (أتم مكارم الأخلاق).. أي: أبلغ نهايتها).
- وقال الحافظ ابن عبد البر في: (التمهيد) (٣٣٤/٢٤)، وعنه السيوطي في: (تنوير الحوالك) (٩٧/٣): (وهذا حديث مدني صحيح، ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله، والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بعث لیتّمه-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-).
- ١٠٨- رواه ابن ماجه في (سننه) (١١٣٧/٢) بإسناد صحيح-وصححه الألباني وغيره-.
- ١٠٩- أوصى عيسى بن دينار عبد الله بن حبيب في رحلته لطلب العلم، فقال: "إذا أصبت عالماً، فلا تُظهر له مع علمه علماً، فيحرمك ما عنده". انظر: (ترتيب المدارك) (٣٩/٢)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٣٠).
- ١١٠- رواه الأصبهاني في: (منتخبه). انظر: (تهذيب غداء الألباب، شرح منظومة الأدب) (ص: ٢٨).
- ١١١- انظر: (تهذيب غداء الألباب، شرح منظومة الأدب) (ص: ٢٨/٢٩).
- ١١٢- قال الشاعر المفلح أبو أحمد محمد الزهيري-حفظه الله-بعد أن قرأ هذه القصيدة ما نصه: (القصيدة الخامسة والثمانون: واجعلنَ علّمك ملحاً ودقيقاً ** تلکمُ الآدابُ تحاكي طعاماً قلت: واجعلنَ علّمك ملحاً وخبزاً ** تلکمُ الآدابُ تحاكي الطعاماً والله أعلم
- قِلَّةُ العِلْمِ صَاحِبِي مَعَ كَثِيرٍ ** مِنْ أَدَبٍ طَلِبَةٌ لِمَنْ يَتَسَاتَمَا قلت للعجز:
- من أَدَبٍ طَلِبَةٍ لِمَنْ يَتَسَامَى).
- ١١٣- وقال الحافظ ابن حجر-رحمه الله تعالى-في: (فتح الباري) (٣٥٢/٥) في فوائد قصة الحديدية: (وفي الحديث: أن التابع لا يليق به الاعتراض على المتبوع بمجرد ما يظهر في الحال، بل: عليه التسليم؛ لأن المتبوع أعرف بمآل الأمور غالباً بكثرة التجربة، ولا سيما مع من هو مؤيد بالوحي). ولذلك ندم عمر على مراجعته رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-يومئذ، وقال: "فعملت لذلك أعمالاً"، وقال أيضاً: "ما زلت أصوم، وأصدق، وأصلي، وأعتق، من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ، حتى رجوت أن يكون خيراً". كما في: (مسند الإمام) (٣٢٥/٤).
- وقال سهل بن حنيف-رضي الله عنه-: "يا أيها الناس اتهموا رأيكم، فإننا كنا يوم أبي جندل ولو نستطيع أن نرد أمر رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-لرددناه". (رواه البخاري، رقم: ٧٣٠٨)، وقال الإمام مالك-رحمه الله تعالى-: "سَلِّمُوا لِلْأُتَمَّةِ، وَلَا تَجَادِلُوهُمْ". كما في: (الميزان) (٥١/١) للشعراني، وقال سفيان بن عيينة-رحمه الله تعالى-: "التسليم للفقهاء سلامة في الدين". كما في: (الجواهر المضيئة) للقرشي (١٦٦/١).
- التسليم للعالم وترك الاعتراض عليه ليس على إطلاقه، لأنه ليس معصوماً، وإنما المقصود التسليم له في موضع الاجتهاد والاحتمال، بل: الأمر فيه كما قال ابن حزم في: (مداواة النفوس-مجموع رسائل ابن حزم) (ص: ٤١١): (إذا حضر مجلس علم، فلا يكن حضورك إلا حضور مستفيد، مستزيد علماً وأجراً، لا حضور مستغن بما عندك، طالباً عثره تُشنعها أو: غريبة تشيعها، فهذه أفعال الأراذل الذين لا يفلحون في العلم أبداً).
- وقال العلامة بكر أبو زيد-رحمه الله تعالى-في: (حلية طالب العلم) (ص: ٥٨): (إذا ظفرت بوهم لعالم فلا تفرح به للحط منه، ولكن افرح به لتصحيح المسألة فقط، فإن المنصف يكاد يجرم بأنه ما من إمام إلا وله أغلاط، وأوهام، لا سيما المكثرين منهم. وما يشغب بهذا، ويفرح به للتنقص إلا متعالم "يريد أن يُطَبَّ كُغَاماً، فيحدث به جذاماً". نعم ينبه على خطأ، أو: وهم وقع لإمام عُمر في بحر علمه وفضله، لكن لا يثير الرهج عليه بالتنقص منه، والحط عليه، فيغتر به من هو مثله). انظر هامش: (حرمة أهل العلم) (ص: ٢٣٢/٢٣١).
- ١١٤- على أنني لم أوافق الإخوة على بعض التصرفات التي لم تكن مقيدة بالشرع، وهي رمي الإخوة أنفسهم من فوق السطوح، والإقدام على إضرار النار في أنفسهم، ولو فعلوا لكانوا منتحرين بلا خلاف، ولا يلتفت إلى ما كونوا يستدلون به: (من قتل دون عرضه فهو شهيد) فالنص صحيح والفهم قبيح، والحديث ليس فيه من قُتل نفسه دون ماله فهو شهيد، ثم من أفتاهم بذلك ليس من أهل العلم، ولا يفقه شيئاً عن المصالح والمفاسد، وقد اتصل

علي الإخوة يسألون فأجابتهم بعدم الجواز، وقد سألت فضيلة شيخنا العلامة الأديب سيدي محمد بوخبزة للاستشارة برأيه في المسألة فأجاب-حفظه الله تعالى-بعد البسملة والحمدلة والصلاة على رسول الله وآله وصحبه-بقوله: (جناب الأخ الكريم المفضل الأستاذ النفاة أبو الفضل السيد عمر بن مسعود الحدوشي دام سعه....:

وقد سمعتُ ما جعلني أتفائل بقرب الفرج إن شاء الله تعالى وأشجُب ما نُقل عن الإخوة ألهمهم الله الصبر والثبات من إقدامهم على المحرّم المكروه الذي لو تم-لا قدر الله-لَذَهَبَ كل شيء، وَخُرِمُوا الأجر والثواب وطيب الأُخْدُوثة، فَبَلَّغْ إخواني تحياتي وتحياتي ودعواتي وقُبلائي ورجائي تفضلهم بالدعاء لي فأني ممتحن فقير إلى فضل الدعاء يَا عَمَرَ الْخَيْرِ يَا حَبِيبِي * أَبَشِّرْ يَوْمَ يَأْتِيكَ أَسْعَدُ

يجتمع الشمْلُ بالأحَبَّة * وينعم القلبُ بل: ويشْهَد:

عناية الله بالموالي * تُفْضِي بهم للعلَى وأُجِدُ

فَأَكْثَرِ الْحَمْدَ لِلْمَزِيدِ * وواصل الشكر كي تُمَجِّدُ

وأجدد لك شكري على أحياتك التي لم أستطع موازنتها...ختاماً أرجو أخي أبا الفضل، أن يبالغ في الدعاء لي فأني جد مريض والله المستعان، وإلى اللقاء بحول الله والسلام. تطوان في: ٦-جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ من مجلكم: أبي أويس)

وقلت في مساحلة شيخنا العلامة الأديب، والفهامة الأريب أبي أويس-حفظه الله تعالى-:

مواكبُ النُورِ قد أَطْلَتْ * والليل من ثوبه يَحْرَدُ

سُيُصْبِحُ الكونُ بعدُ أَمْحَى * فَأَلْسُنُ الْخَلْقِ إِيَّاهُ تَشْهَدُ

لَا تَبْتَسِمُ صَاحٍ أَوْ: تُفَكِّرُ * واحْمِلْ فُؤَادَ مُلْهِمٍ مُسَدَّدُ

عَدَا إِن شَاءَ رَبُّ الْوَرَى * قصيدُ فرحة سوف يُنشد

فَلْتَسْنُمْ فِيكَ يَا رَفِيقِي * مَا جَرَى الذِّكْرُ عِزْمٌ مُخَدَّدُ

فَيَرْفُضُ الْعَالَمُونَ طَرًّا * على إيقاعه ما تَرَدَّدُ

وَلْتَكُنْ بِاللَّهِ فِي وَثُوقٍ * فَهَوُ مِنْ عَدَمٍ لَكَ أَوْجَدُ

قاله تلميذه الداعي له بالشفاء وحسن الخاتمة أبو الفضل عمر بن مسعود الحدوشي بزمراته الانفرادية بالسجن المحلي بتطوان ١٧-جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ).

١١٥-الْحَبِّ: الخَدَاع. وفي الأثر: (لا يدخل الجنة خب ولا خائن). وهو المفسد للثم.

ويروى أن ابن عمر كان إذا رأى عبداً من عبيده يصلي أعتقه وحرره، فكان بعضهم لا يصلي لكن إذا رأى سيده-ابن عمر-تظاهر بالصلاة ليحرره، وقيل له: إنهم يخدعونك فقال: (لست بالخب ولا الخب يخدعني).

١١٦-القدم: العَيُّ عن الكلام في ثِقَلٍ وَرَخَاوَةٍ وَقِلَّةِ فَهْمٍ، والغليظ الأحمق الجاني .

١١٧-يقال: (أيقظ لنا من لا ينام). أي: سلط علينا العيون والجواسيس. انظر: (الأغاني) (١٣٢٢/٢١).

١١٨-أخذوا أموالاً طائلة من أمريكا لحاربة الإسلام والمسلمين.

١١٩-الكشخان: هو الديوث الذي لا يغار على أهله.

١٢٠-الكندر-بالضم-، يطلق على معانٍ عدة. منها: الحمار العظيم.

١٢١-الغبر-يفتح العين وسكون الراء-: الحمار العظيم.

١٢٢-أخسأ: خَسَأَ الكلب، كمنع: طرده والخاسئ من الكلاب والخنازير: المبعد، لا يترك أن يدنو من الناس. وهي لغة: لزجر الكلب والمراد به هنا الطفلي.

١٢٣-الدعي، كغني: من تَبَنَيْته، والمتهم في نسبه. ويراد به هنا: ادعاء استقلالية القضاء.

١٢٤-ولله در القائل:

والله صَبَّرَنِي عَلَيْكُمْ نَقْمَةً # وَلِهَذَا سَتَرْتُ جَمِيعَكُمْ أَبْقَانِي

أَنَا فِي خُلُقٍ جَمِيعِهِمْ عَوْدَ الْحَشَا # أَعْنَى أَطَبَّبْتُكُمْ غُمُوضُ مَكَانِي

أَنَا هُمُكُمْ أَنَا غُمُكُمْ أَنَا سُمُكُمْ # أَنَا سُمُكُمْ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ

لَأَقْطَعَنَّ بِمَعُولِي أَعْرَاضَكُمْ # مَا دَامَ يَصْحَبُ مُهَجَّتِي جُثْمَانِي

- ولأهجوئكم وأتلبُ حزبكُم # حتى تُغَيِّبَ جُحَّتِي أَكْفَانِي
ولأهتكُم بمنطقي أستاذكم # حتى أَبْلُغَ قاصياً أو: داني
ولأنزلُ إليكم بصواعقي # ولتُخْرِقَنَّ كُبُودَكُم نيرانِي
ولأقْطَعَنَّ بِسَيْفِ حَقِّي زوركم # وَلْيُخَمِدَنَّ شَوْظُكُم طُوفَانِي
- ١٢٥- قال شاعرنا أبو أحمد محمد الزهيري-وهو المشهور ببيرق التوحيد-: أفتُرح على الشيخ التعديل التالي للبيت الأول لأن العجز يوجد فيه كسرٌ لا تعجلوا فالخور يُدْفَعُ مهرها ** من ماء ما فاض الوريد ويدْفَقُ.
- ١٢٦- قال شاعرنا أبو أحمد محمد الزهيري-وهو المشهور ببيرق التوحيد-: ولكسر العجز في البيت الثاني وأظنه خطأ طباعة ونقل: (كنت) بدلاً من كنتم.
- إن كنتَ مَن يَأْمَلُوا أو: يَعْشِقُوا
- ١٢٧- قال شاعرنا أبو أحمد محمد الزهيري-وهو المشهور ببيرق التوحيد-: البيت سليم ولكنه يتعين إشباع الضمة في يشغلُ حتى يستقيم لِمَ لا تكون: (لا يشغلنُ بالنون المخففة). قلب اللبيب الناعق، وأيضاً الناعق فيه من عيوب القافية ماذا لو أصبحت:
- لا يشغلنُ لبيئكم من ينعقُ
- ١٢٨- قال شاعرنا أبو أحمد محمد الزهيري-وهو المشهور ببيرق التوحيد-: إن كنتَ وليس إن كنتم حتى يستقيم الوزن.
- ١٢٩- قال شاعرنا أبو أحمد محمد الزهيري-وهو المشهور ببيرق التوحيد-: البيت سليم بتسكين ييغض ولكن عيب القافية موجود أفتُرح أن يصبح البيت:
- تَالله إن السَّحْن خَيْرٌ من لَطَى ** عصيان مَنْ بغضوا الإله وألْقَى
- ١٣٠- قال شاعرنا أبو أحمد محمد الزهيري-وهو المشهور ببيرق التوحيد-:
- (إن تسمحو فالختم حتماً قد حصل)
- ليستقيم الوزن.
- أو: ترفضوا فالعود فيه الرونقُ
- للتخلص من عيب القافية.
- ١٣١- رواه أبو داود في: (سننه) كتاب الحدود (١٣٣/٤) رقم: ٣٤٦٠- بإسناد حسن، وابن ماجه في: (سننه) (رقم: ٢١٩٩)، والبيهقي في: (السنن الكبرى) (٢٧/٦)، وصححه جماعة من الحفاظ والمحدثين منهم:
- ١- ابن حبان في: (صحيحه) (رقم: ١١٠٣)،
- ٢- والحاكم في: (مستدرکه) (٤٥/٢)،
- ٣- وابن حزم،
- ٤- وابن دقيق العيد وغيرهم، انظر كلام الحفاظ ابن القطان عنه في: (بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام) (٩٣/٢) رقم: ٦٥، و(٤٤٩/٢) رقم: ٤٥١)
- ١٣٢- أخرجه أبو داود في: (سننه) (رقم: ٣٤٧٥)، والإمام أحمد في: (مسنده) (١٨١/٦)، والبخاري في: (الأدب المفرد) (رقم: ٤٦٥)، وابن حبان في: (صحيحه) (رقم: ١٥٢٠)، وصححه:
- ١- المحدث أحمد شاكر،
- ٢- ومحققو (المسند-مؤسسة الرسالة)،
- ٣- والمحدث الألباني في: (الصحيحه) (رقم: ٦٣٨). وغيرهم.
- ١٣٣- أخرجه البيهقي في: (السنن الكبرى) (٣٣٤/٨).
- ١٣٤- انظر: (قواعد الأحكام) (١٥٠/١).
- ١٣٥- انظر: (بدائع الفوائد) (١٣٩/٣).
- ١٣٦- انظر: (جامع العلوم والحكم) (٢٢٣/١) رقم: ٢٢٤.
- ١٣٧- انظر: (مدارج السالكين) (٥٢٢/٣)، و(اعتذارات الأئمة) (ص: ٦٣) لخليل بن عثمان السبيعي.

- ١٣٨- انظر: (منهاج السنة النبوية) لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٣٧/٤)، و(ذاكرة سجين مكافح) (١٣٦/٢).
- ١٣٩- انظر: (مجموع الفتاوى) لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٦/١٠)، و(منهاج السنة) (٤١٢/٨)، و(السير) (٤٦/٢٠)، و(ذاكرة سجين مكافح) (١٣٩/٢).
- ١٤٠- سورة الحجرات، رقم الآية: (١٣).
- ١٤١- أخرجه البخاري في: (صحيحه) (رقم: ٣٣٥٣)، ومسلم في: (صحيحه) (١٨٤٦/٤).
- ١٤٢- انظر: (سير أعلام النبلاء) (٢٠٧/٢١).
- ١٤٣- الهوى: ميل القلب إلى ما يستلذ به. انظر: (الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة) (ص: ٦٦) للقاضي زكرياء بن محمد الأنصاري.
- ١٤٤- انظر: (منهاج السنة النبوية) (٥٤٣/٤).
- ١٤٥- التقرُّب: مدح الإنسان وهو حي بحق أو: بباطل. (القاموس) (ص: ٦٢٨- طبعة كاملة في مجلد واحد).
- ١٤٦- وإليك بعض الصور من الغلو في الشيوخ: قال الشيخ سليمان بن يوسف بن مفلح- أحد أعلام الشافعية- عن نفسه: (كنت إذا سمعت شخصاً يقول: "أخطأ النووي"، اعتقدت أنه كفر) (الدرر الكامنة) (٢٦١/٢).
- وقال محمد بن الحسين السلمي: (من قال لشيخه: لم؟ لم يفلح). كما في (الفرق بين النصيحة والتعيير) (ص: ١٠١).
- وقال الذهبي في: (تاريخه) (٣١٠/٨): (من قال لشيخه: لم؟ لا يفلح)، ومرة قال في: (٢١٠/٩): (من قال للأستاذ لم؟ لا يفلح أبداً).
- ومن الغلو قولهم: (نظرة عندنا من أحمد بن حنبل، تعدل عبادة سنة)، وقال بعضهم: (عندنا بخراسان يظنون أن أحمد بن حنبل لا يشبه البشر، يظنون أنه من الملائكة).
- ١٤٧- انظر: (بدائع الفوائد) (١٦٤/١٦١/٣)، و(منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين) (ص: ٣٨/١٧).
- ١٤٨- انظر: (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٢٠٤/٤/رقم: ٣٤٠).
- ١٤٩- انظر: (مجموع الفتاوى) (٢٩٤/١٥).
- ١٥٠- سورة البينة، رقم الآية: (٥). انظر: (منهاج السنة النبوية) (٢٥٦/٢٥٤/٥)، و(منهج أهل السنة والجماعة في النقد...) (ص: ٤٢/٣٩).
- للاستاذ: هشام بن إسماعيل، و(ذاكرة سجين مكافح) (١٠٢/١).
- ١٥١- انظر: (مدارج السالكين) (٥٢٣/٥٢٢/٣).
- ١٥٢- سورة المؤمنون، الآية رقم: (٧١).
- ١٥٣- سورة الشورى، الآية رقم: (١٥).
- ١٥٤- انظر: (الرد الوافر...) (ص: ١٣).
- ١٥٥- انظر: (السير) (٤٠٢/٤)، و(ذاكرة سجين مكافح) (١١٢/١).
- ١٥٦- انظر: (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٧٥٨/٨/رقم: ١٧٠- ترجمة: محمد بن أبي يعقوب إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده). انتهى من (ذاكرة سجين مكافح) (٦٦/٣)، و(منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين) (ص: ٦٤/٥٥).
- وقال الذهبي في: (السير) (٢٧٥/٥) في ترجمة: (قتادة بن دعامة السدوسي)- بعد أن ذكر قول قتادة في يحيى بن أبي كثير: (متى كان العلم في السماكين)، وقول يحيى في قتادة: (لا يزال أهل البصرة بشر ما كان فيهم قتادة) فعلق عليه ابن الذهبي بقوله: (كلام الأقران يُطوى ولا يُروى، فإن دُكر تأمله المحدث، فإن وجد له متابعاً، وإلا أعرض عنه). انظر: (ضوابط الجرح والتعديل عند الحافظ الذهبي) (٦٥٨/٢).
- ١٥٧- اسمه: (تاريخ أصبهان) (٣٠٦/٢)، انظر: (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٧٥٨/٨/رقم: ١٧٠- ترجمة: محمد بن أبي يعقوب إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده)، و(ذاكرة سجين مكافح) (٦٦/٣).
- ١٥٨- انظر: (تاريخ دمشق) (٣٤/٢٩/٥٢)، و(تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٧٥٨/٨/رقم: ١٧٠- ترجمة: محمد بن أبي يعقوب إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده)، و(ذاكرة سجين مكافح) (٦٦/٣).
- ١٥٩- انظر: (مجموع الفتاوى) لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٣٤/١٦).
- ١٦٠- انظر: (السلسلة الصحيحة) (٧/القسم الأول/١١٤).
- ١٦١- رواه أحمد في: (مسنده) (١٩٨/٣)، والترمذي في: (جامعه) (٦٥٩/٤)، وابن ماجه في: (سننه) (١٤٢٠/٢)، وصححه الألباني في: (صحيح السنن)، و(صحيح الجامع) (رقم: ٤٥١٥).

١٦٢- رواه أبو داود في: (سننه) كتاب الطهارة، باب: (٣٤/٣٣)، والترمذي في: (جامعه) (٦٧)، والنسائي في: (سننه) كتاب الطهارة، باب: (٤٤)، وابن ماجه (٥١٨)، والدارمي في: (سننه) (رقم: ٧٣٧/٧٣٨)، والحاكم في: (المستدرک) (١٣٣/١)، وابن حبان (٢٧٥/٢٧٤/٢)، والدارقطني (٢٢/٢١/١)، وقد أفاض ابن القيم في دراسته في تعليقه على (سنن أبي داود)، (١٠٦/١-١٢٥-عون المعبود)، والألباني في: (صحيح السنن)، و(إرواء الغليل) (٦٠/١/رقم: ٢٣)، والصنعاني في: (سبل السلام) (ص: ١٨). انتهى من مقدمة أم الفضل-حفظها الله-لكتائي: (كيف نطلب العلم؟) (ص: ٤١/٣٠).

١٦٣- هذه المنظومة درّستها وشرحتها للإخوة المحكّمين بالمؤبد-بالخصوص-النازلين بالسجن المركزي بالقنيطرة-عبر الهاتف-تم ذلك في: (١٥-حلقة)، استغرقت كل حلقة ساعتين، فيكون المجموع ثلاثين ساعة، وقام الإخوة بتفريغها في أكثر من مائة صفحة بخط مغربي دقيق، وفي نيتهم تقديمها للطبعة بعد أن أطلع عليها-إن شاء الله تعالى-.

١٦٤- أي: يشتد.

١٦٥- أي: أقرانه.

١٦٦- قال الشاعر المصنّع أبو أحمد محمد الزهيري، في عجز هذا البيت:

تشف بحسنٍ عن مقاصدِها العظم).

(أقترح للعجز:

تشف بحسنٍ عن مقصدها العظم).

واقترحه مقبول-جزاه الله خيراً.

١٦٧- قال الشاعر المصنّع أبو أحمد محمد الزهيري، أرى أن هذا البيت:

(كشأنٍ اعتيادٍ المرءٍ لِدَائِهِ * على نَفَلَاتٍ من دواعي الأذى تُحْمِي

الخطر غير مكتمل أقترح إضافة: "أَنْ" ليصبح: كشأنٍ اعتيادٍ المرءٍ أَنْ لِدَائِهِ). واقترحه مقبول-جزاه الله خيراً.

١٦٨- قال الشاعر المصنّع أبو أحمد محمد الزهيري أقترح في هذا البيت ما يلي:

وخامسها: "ضُرُّ يُزَالُ" وَبُنْتَقَى * فَيَعْقُبُهُ نَفْعٌ بِالْجَنُوحِ إِلَى السَّلَمِ

(فيعقبه نفع الجنوح إلى السلم).

أو: تسكين الباء في يعقبه والإبقاء على العجز كما هو. واقترحه مقبول-جزاه الله خيراً.

١٦٩- قال الشاعر المصنّع أبو أحمد محمد الزهيري، أرى أن هذا البيت:

كأُكْلِكَ محظوراً وأنت على طوى * إذا حافَ عليك-الفقيه من الحرِّم

أقترح تغيير كلمة الفقيه إلى كلمة: "الذاكرون" ليستقيم الوزن وكذلك فيه إشارة إلى: (فاسألوا أهل الذكر).

واقترحه مقبول-جزاه الله خيراً.

١٧٠- كتبه المحبوس من أجل عقيدته ودينه أبو الفضل عمر بن مسعود ابن الفقيه عمر بن حدوش الحدوشي بزنزانه الانفرادية بالسجن المحلي بتطوان، بتاريخ: ٤ رجب سنة: ١٤٣٠ هـ.

١٧١- قال شيخنا العلامة الأديب أبو الفضل عمر الحدوشي-فرج الله عنه-: (بمفتاح، أي: يستقي، لأن المياح هو: الدلو، يمتا حبه الماء من البئر).

١٧٢- قال شيخنا العلامة الأديب أبو الفضل عمر الحدوشي-فرج الله عنه-: (بشباه، أي: ليس بشيء مشبوه، إن لم يخالف الشرع فهو داخل في المصالح المرسله).

١٧٣- وهذا جزء وطرف من حديث رواه مسلم في: (صحيحه) (رقم: ٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة، وبعض العوام يرويه بلفظ: (ما دام العبد في عون أخيه) وهو غلط واضح، لأنه هذه الرواية العامة إذا قلنا بما فيصير معناها هكذا: (... أن عون الله لا يتحقق إلا عند دوام عون الأخ، ولم يفهم منه أن عون الله للعبد كعونه لأخيه، فإذا قال: "ما دام العبد في عون أخيه" علم أن الله جل وعلا كعون الإنسان لأخيه). انظر: (الجامع في شرح الأربعين النووية) (ص: ٤٤٥/رقم: ٣٦) لشيخنا العثيمين، و(شرح الأربعين النووية) (ص: ١٩١/رقم: ٣٦) لجماعة من العلماء: النووي، وابن دقيق العيد، والسعدي، وتلميذه العثيمين.

١٧٤- انظر: (فضائح الفتن) (ص: ١٧).

١٧٥- انظر: (صفحات في أدب الرأي) (٥).

١٧٦- وقد بينت أن الإمام أبا حنيفة -رحمه الله- تكلم فيه العلماء من حيث عقيدته الإرجائية، وأنه ضعيف في الحديث، أما الفقه إمام فيه لا يجارى، ومما قلته في هامش كتابي: (شفاء الترييح...) (ص: ١١٤٥/١١٤٧) -في بيان السبب الباعث للأحناف على الطعن الشديد في الإمام ابن عدي- فقلت: (قال شيخنا أبو غدة -رحمه الله تعالى-: هو الحافظ الكبير أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، الشافعي المولود سنة ٢٧٧/ والمتوفى سنة ٣٦٥/ عن ٨٨ سنة، قال شيخنا (الإمام) الكوثري.. في مقدمة: (نصب الراية) (ص: ٥٧)، و(فقه أهل العراق وحديثهم) (ص: ٨٣)، تحت عنوان: كلمة في الجرح والتعديل: (نجد في: (الكامل) لابن عدي كلاماً كثيراً عن هوئ في ساداتنا أئمة الفقه، لتعصبه المذهبي عن جهل، مع سوء المعتقد!!، انظر قوله في: (إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي) شيخ الشافعية: نظرت الكثير من حديثه، فلم أجد له حديثاً منكراً -انظر ٢١٧/١ إلى ٢٢٥/ حيث قال ابن عدي: قال لي أحمد بن محمد بن سعيد: نظرت في حديث إبراهيم بن أبي يحيى كثيراً، وليس هو بمنكر الحديث. قال ابن عدي: وهذا الذي قاله كما قال، وقد نظرت أنا أيضاً في حديثه الكثير، فلم أجد فيه منكراً إلا عن شيوخ يحتملون... وقال أيضاً: وهذا الذي قاله ابن سعيد، كما قال، وقد نظرت أنا في أحاديثه، وسجرتها وفتشت الكل منها فليس فيها حديث منكر. وإنما يروي المنكر إذا كان العهدة من قبل الراوي عنه، أو: من قبل من يروي إبراهيم عنه، وكأنه أني من قبل شيخه لا من قبله، وهو في جملة من يكتب حديثه، وقد وثقه الشافعي وابن الأصبهاني وغيرهما.

انتهى كلام ابن عدي فما نقله الكوثري أو: تلميذه أبو غدة ناقصاً وهما لا يوثق بهما ولا بنقلهما فتأمل -قال الكوثري: مع أنك تعلم أقوال أهل النقد فيه، كأحمد وابن حبان، والعجلي: (مدني رافضي جهمي، قدري، لا يكتب حديثه) بل: كذبه غير واحد من النقاد، ولولا أن الشافعي كان يكثر منه قدر إكثاره من مالك، لما سعى ابن عدي في تقوية أمره، استناداً إلى قول مثل ابن عقدة.

ولا أدري كيف ينطلق لسان ابن عدي بالاستغناء عن علم مثل (محمد بن الحسن)؟. وإمامه لم يستغن عن علمه، بل: به تخرج في الفقه -!!!- لكن المتشعب بما لم يُغط يستغني عن علم كل عالم، مُتَقَمِّمًا في جهالاته، غير ناظر إلى ما وراءه وإمامه، وهكذا يصنع مع سائر أئمتنا كلهم، ألهمهم الله سبحانه مُسَامَحَتَهُ، ومن معائب: (كامل) ابن عدي: طعنه في الرجل بحديث، مع أن آفته الراوي عن الرجل دون الرجل نفسه، وقد أقر بذلك الذهبي في مواضع من: (الميزان) -

١- منها في: (٢/٦٢٩)، في ترجمة: (عبد العزيز بن أبي رزاد)، فبعد أن ساق الذهبي فيها حديثاً باطلاً من طريق ابن عدي إلى عبد العزيز بن أبي رزاد، قال: (هذا من عيوب: (كامل) ابن عدي، يأتي في ترجمة الرجل بخبر باطل، لا يكون حدث به قط، وإنما وُضع من بعده).

٢- ومنها في: (٣/٣٣١)، في ترجمة: (غالب بن خُطَّاف البصري)، قال الذهبي فيها بعد أن ساق حديثاً موضوعاً أورده ابن عدي في ترجمته: (فما أنصف ابن عدي في إحصائه هذا الحديث في ترجمة غالب، وغالب من رجال (الصحيحين) وقد قال فيه أحمد بن حنبل: ثقة، ثقة).

٣- ومن هذا القبيل: كلامه في أبي حنيفة في مرويَّاته البالغة -عند ابن عدي- ثلاثمائة حديث! وإنما تلك الأحاديث من رواية آباء ابن جعفر النَجَيرمي، وكل ما في تلك الأحاديث من المؤاخذات كِلَها.

بالنظر إلى هذا الراوي الذي هو من مشايخ ابن عدي، ويحاول ابن عدي أن يُلصق ما للنَجَيرمي إلى أبي حنيفة مباشرة، وهذا هو الظلم والعدوان، وهكذا باقي مؤاخذاته، وطريق فضح أمثاله: النظر في أسانيدهم).

وقال شيخنا أيضاً في: (تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة) (ص: ١٦٩): (وكان ابن عدي على بُعده عن الفقه والنظر والعلوم العربية: طويل اللسان في أبي حنيفة وأصحابه، ثم لما اتصل بأبي جعفر الطحاوي وأخذ عنه تحسنت حالته يسيراً، حتى ألف (مسنداً) في أحاديث أبي حنيفة انتهى -كذا قال!.

قال المحبوس: وابن عدي أعلم من الطحاوي ومن الكوثري وغيرهما من الأحناف -ثم قال أبو غدة: وقد ألف شيخنا كتاباً خاصاً في نقد كتاب: (الكامل)، سماه: (إبداء وجوه التعدي في: (كامل) ابن عدي)، لا يزال مخطوطاً.

وانظر نموذجاً من وجوه تعدي ابن عدي ونقد شيخنا الكوثري له، في كتابه: (الإمتاع بسيرة الإمامين الحسن بن زياد، وصاحبه محمد بن شجاع) (٥٩/٦٦/٦٩). وقول الشيخ ابن تيمية في: (التوسل والوسيلة) (ص: ٩٦): وفي: (مجموع الفتاوى) (١/٢٧١): (الكامل في أسماء الرجال) لابن عدي، لم يصنف في فنه مثله).

ثم قال شيخنا العلامة أبو غدة مجنون الكوثري: (يعني به من حيث احتواؤه وجمعه، وتوسعه في ترجمة الراوي، بذكر بعض أحاديثه التي أنكرت عليه، ولا يعني به سلامته من المآخذ من كل الوجوه، فما سلم كتاب صفه إنسان من مؤاخذة).

قال المحبوس -فرج الله عنه-: ولم أفهم سبب هذا الظلم والجور والتحامل على الإمام ابن عدي من الكوثري وتلميذه أبي غدة مدة من الزمن حتى قرأت: (الكامل) بالسجن المحلي بتطوان فعلمت سر تحاملهم عليه، ومن شاء أن يعرف فليقرأ ما يلي في (الكامل): (١/٣١٤/رقم: ١٣٩ - ترجمة: إسماعيل بن

حماد بن أبي حنيفة حيث قال: (واسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ليس له من الرواية شيء، ليس هو ولا أبوه ولا جده أبو حنيفة من أهل الرواية، وثلاثتهم قد ذكروهم في كتابي هذا في جملة الضعفاء)

وقال أيضاً في: (٥/٧ إلى ١٢/رقم: ١٩٥٤-ترجمة: النعمان بن ثابت أبي حنيفة).

حيث ذكر أقوال العلماء في أبي حنيفة ومعظمهم يقول في أبي حنيفة: (لا ثقة ولا مأمون، وأنه لا يكتب حديثه، ليس بصاحب حديث، ولا تقنع برأيه ولا بحديثه، متروك الحديث، ليس بثقة، وكان أبو حنيفة شيطاناً استقبل آثار رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-يردها برأيه، وكان شريك لا يجيز شهادته وشهادته أصحابه، وأما الثوري فما كلمه حتى مات.

قال ابن عيينة: قدمت الكوفة فحدثتهم عن عمرو بن دينار، عن جابر بن زيد بحديث فقالوا: إن أبا حنيفة يذكر ذا عن جابر ابن عبد الله قلت: لا أعلم، هو جابر بن زيد قال: فذكر ذلك لأبي حنيفة قال: فقال: لا تبالوا إن شئتم اجعلوه جابر بن عبد الله وإن شئتم اجعلوه جابر بن زيد. قال عمرو بن علي: أبو حنيفة ليس بالحافظ مضطرب الحديث واهي الحديث.

قال مالك: الداء العضال: الهلاك في الدين، وأبو حنيفة من الداء العضال.

قال الوليد بن مسلم: قال لي مالك: أذكر أبو حنيفة في بلدكم؟ قلت: نعم، قال: ما ينبغي لبلدكم أن تسكن. قال المقرئ: سمعت أبا حنيفة يقول: ما رأيت أفضل من عطاء، وعامة ما أحدثكم خطأ.

وكان المقرئ يقول: حدثنا أبو حنيفة وكان مرجئاً يمد بما صوته صوتاً عالياً. قيل للمقرئ: فأنت لم ترو عنه وكان مرجئاً قال: إني أبيع اللحم مع العظام. ثم قال ابن عدي: ثنا الجنيدي، ثنا البخاري، وحدثني نعيم بن حماد قال: كنت عند سفيان ونعي أبو حنيفة فقال: الحمد لله كان ينقض الإسلام عروء عروء وما وُلد في الإسلام أشأم منه.

ثم ذكر ابن عدي كلام أبي حنيفة: لو أدركني رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-لأخذ بكثير من قولي وهل الدين إلا بالرأي الحسن. إلى آخر ما قال الإمام ابن عدي.

هذه جريمة ابن عدي الوحيدة ليستحق كل ما سبق من السب المقذع من مجنوني أبي حنيفة. وإذا ظهر السب بطل العجب.

وهذا لا يعني أن ابن عدي معصوم وأن كل ما نقله في حق أبي حنيفة صحيح.

ولكن المقصود أن الكوثري وشيخنا أبا غدة لم يكن انتصارهما هذا لله تعالى، والأمر واضح لا يحتاج إلى توضيح أعاذنا الله من الغلو والتقديس للرجال ولو على حساب الشرع.

ومن أراد أن يعرف تلاعب الكوثري وضلاله وتخريفه وتحريفه للنصوص فعليه بكتاب (التنكيل) للإمام المعلمي فقد بين فيه تلاعب الكوثري وتخريفه وتدليس كذبه على الأمة بل: والصحابة رضوان الله عليهم... وهناك مواضع أخرى في الكامل ذكرتها في كتابي: (ذاكرة سجين مكافح).

حيث قلت:

وفي: (الكامل) أيضاً: (٢/٢٥٥/رقم: ٤٣١-ترجمة: حماد بن سلمة بن دينار): (...وسمعت حماد بن سلمة يقول: ما وُلد في الإسلام مولود أضر على الإسلام من أبي حنيفة-يعني أبا حنيفة).

وفي: (الكامل) أيضاً: (٣/٤٥١/٤٥٢): (...عن سفيان قال: قيل لسوار بن عبد الله القاضي: لو نظرت في شيء من كلام أبي حنيفة وقضاياها؟ قال: كيف أنظر في كلام رجل لم يؤت الرشد في دينه).

وقال في: (٧/١٦٢/رقم: ٢٠٦٧-ترجمة: يوسف بن خالد أبي خالد السمي بصري): (...وكان من أصحاب أبي حنيفة وقد أجمع على كذبه أهل بلده). والأحناف حملوا على المحدث الألباني-رحمه الله تعالى-حتى إن أحد الخرافيين والصحافيين كتب كتاباً بعنوان: (ويلك آمن) كفر فيه مجدد هذا القرن ومرجع علماء الحديث في عصرنا، وجريته-رحمه الله تعالى-أنه قال في: (الإرواء) (٢/٢٧٩): (وبعد: فإن تضعيف أبي حنيفة-رحمه الله-في الحديث لا يحط مطلقاً من قدره وجلالته في العلم والفقه الذي اشتهر به، ولعل نبوغه فيه، وإقباله عليه، وهو الذي جعل حفظه يضعف في الحديث، فإن من المعلوم أن إقبال العالم على علم وتخصصه فيه، مما يضعف ذاكرته غالباً في العلوم الأخرى. والله أعلم).

١٧٧-رواه البيهقي في: (الأسماء والصفات) (١/٦١١/رقم: ٥٥٠)، وقال: (رواه ثقات).

١٧٨-رواه البيهقي في: (الأسماء والصفات) (١/٦١١/رقم: ٥٥١) وقال محققه: (إسناده ضعيف). وقال الحاكم: (رواه هذا كله ثقات).

١٧٩-انظر: (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) (٢/٢٦٩/رقم: ٤٧١).

١٨٠-انظر: (من هي الطائفة المنصورة؟) (ص: ٤)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٣١٤).

١٨١-هذا غير صحيح!!

- ١٨٢- انظر: (الإيمان) بتحقيق المحدث الألباني (ص: ٢٨١/٢٨٢/٣٧٧)، و(مجموع الفتاوى) (٣/٣٥٧)، و(١٢/٤٨٥).
- ١٨٣- انظر حاشيته على (الأزهرية في أحكام الأدعية) (ص: ٨-٧٥).
- ١٨٤- وقد ورد لفظ الغلو في موضعين من القرآن الكريم، وكلاهما بمعنى: (مجاوزة الحد)، وهو المعنى اللغوي للكلمة.
- ١- (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق). (سورة النساء، الآية: ١٧٠).
- ٢- قوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق). (سورة المائدة، الآية: ٧٩).
- قال ابن كثير في: (تفسيره) (٢/١٥١): أي: لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الألوهية، كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله.
- وفي السنة ورد لفظ الغلو في عدد كبير من الأحاديث:
- ١- منها: حديث ابن عباس قال: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَدَاةُ الْعَقْبَةِ وَهُوَ عَلَى نَافَتِهِ: الْقُطْبُ لِي حَصَى فَلَقُطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصِيَّاتٍ هُنَّ حَصَى الْخُذْفِ فَجَعَلْتُ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ فَأَرْمُوا ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ).
- رواه ابن ماجه في: (سننه) (٢٥- كتاب المناسك، ٦٣- باب: قدر حصي الرمي، ٣/٦٤ / رقم: ٣٠٢٩)- انظر تصحيحه في: (صحيح سنن ابن ماجه) (٢/١٧٧ / رقم: ٤٢٥٥). للألباني- والنسائي في: (مناسك الحج، رقم: ٣٠٥٩). وأحمد في: (المسند) (رقم: ١٨٥٤).
- ٢- ومنها قوله ﷺ: (افْرَأُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَعْلُوا فِيهِ وَلَا تَحْمُوا عَنْهُ وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ).
- رواه الطحاوي في: (شرح معاني الآثار) (٣/١٠). وأحمد (٣/٤٤٤). والطبراني في: (الأوسط) (١/٤٢٢/١٠٦٣)، من زوائد المعجمين، وابن عساكر كما في: (المجمع) (٤/٧٣)، و(٧/١٦٨)، و(رجال الكبير ثقات). قال الألباني في: (الصحيحة) (١/٤٦٥/٤٦٦ / رقم: ٢٦٠):
- (وهو كما قال، بل هو إسناده صحيح رجاله كلهم رجال مسلم غير راشد الحبراني- بضم الحاء وسكون الموحدة- وهو ثقة، روى عنه جماعة من الثقات، وقد ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة العليا التي تلي الصحابة، وقال العجلي: (التابعي ثقة)، وقال الحافظ في: (التقريب): قيل اسمه أخضر، وقيل النعمان، ثقة من الثالثة، قلت: فلا يقبل بعد هذا قول ابن حزم فيه: (٨/١٩٠م): (وهو مجهول)، وأعل الحديث به، فإنه لا سلف له في ذلك، وقد وثقه هؤلاء الأئمة).
- قلت: وقوى إسناده الحافظ ابن حجر في: (الفتح) (٩/٨٢). انتهى من كتابي: (رفع الغشاوة في تحريم أخذ الأجرة على التلاوة). (ص: ٧).
- ٣- ومنها قوله ﷺ: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)- ومعنى الغلو فيه: التشدد فيه ومجاوزة الحد، أو: الكشف عن بواطن الأشياء والبحث عن عللها وغوامض متبعاتها- وقد خرجته في كتاب شيخنا العلامة محمد بوخبزة- حفظه الله تعالى- (نشر الإعلام بمروق الكرفطي من الإسلام). (ص: ٢١)، وفي كتابنا هذا.
- ونصه: (حديث حسن بشواهده. كما قال شيخنا العلامة المحدث محمد ابن الشيخ العلامة علي بن آدم الأتوبي، وقد بين شواهده المحدث الألباني في جزء مفرد، والحلي، والهاشمي، والحدوشي كاتب هذه الحروف، وغيرهم.
- انظر: (المجمع) (١/١٤). و(الضعفاء الكبير) للعقيلي (١/٩٠). قال السيوطي في (التدريب) (١/٣٠٣/٣٠٢): (رواه ابن عبد البر من طريق العقيلي).
- ثم قال: والحديث من الطريق الذي أورده مرسل أو معضل). وفي كتاب: (العلل) للخلال أن أحمد بن حنبل سئل عن هذا الحديث فقيل له كأنه موضوع فقال: لا، (بل هو صحيح).
- قال العراقي- رحمه الله تعالى-: (وقد ورد هذا الحديث متصلاً من رواية علي وابن عمر وجابر بن سمرة وأبي أمامة وأبي هريرة وكلها ضعيفة لا يثبت منها شيء وليس فيها شيء يقوي المرسل).
- وقال ابن عدي- رحمه الله تعالى-: (ورواه الثقات عن الوليد بن مسلم عن أبي هريرة). وقال عنه ابن كثير في: (البداية والنهاية) (٥/٣٣٧): (هذا الحديث مرسل وإسناده فيه ضعف، والعجب أن ابن عبد البر صححه واحتج به على عدالة كل من حمل العلم).
- والصحيح أن الحديث حسن بشواهده.
- وأورده البغداد في: (شرف الحديث) (ص: ٢٨ / ح: ٥٢). وابن وضاح في: (البدع والنهي عنها) (ص: ٢). قال القاسمي: وتعدد طرقه يقضي بحسنه كما جزم به العلائي، كما في: (قواعد التحديث) (ص: ٤٩). انتهى من هامش: (التوضيحات) (ص: ٤٩)- وقد طبع ضمن (مجموعة الرسائل في أهم المسائل- لعمر الحدوشي)- لشيخنا العلامة أبي أوس، تحقيق وتعليق وتخريج: عمر الحدوشي- فك الله أسرته، وغفر حوبه.
- ٤- وكذا الغلو الذي يفهم من حديث: (لَا تُظْرُونِي كَمَا أَطْرَبَ النَّصَارَى ابْنَ مَرْثَمَ وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ).

رواه البخاري في: (صحيحه). (٥٩-كتاب أحاديث الأنبياء، ٤٨-باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) (١٤٩/٧/رقم: ٣٤٤٥/٣١٨٩). وأحمد في مواضع من (مسنده) (٥٦/٥٥/١).

وقال أحمد شاكراً -رحمه الله- في تعليقه على (المسند) (٣٩١/١٦٧/٩٤/٩٠/١) رقم: ١٥٤/١٦٤/٣٣١/١٩١: (إسناده صحيح).
والإطراء: الإفراط في المدح انظر: (فتح الباري) (٤٩٠/٦). وقد خرجته في كتاب فضيلة شيخنا محمد بوخبرة (التوضيحات) (ص: ٧٧\٥٧).
وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالى-:

ولقد نعى ذا الخلق عن إطرائه * فعل النصارى عابدي الصليبان

١٨٥-فائدة: اختلف العلماء في أول من لقب بأمر المؤمنين. وانفقوا على أن أول من سمي بأمر المؤمنين من الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب وذلك لأن أبا بكر لما بويع كانوا يسمونه خليفة رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- فلما بويع عمر كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله فاستقلوا ذلك وكرهوا تزايد دعيّاً إلى أن يؤدي إلى الاستهجان ويذهب التمييز المقصود به لكثرة طول إضافتهما فاتفق أن دعا بعض الصحابة:

١- عمر بن الخطاب بأمر المؤمنين فيما كتبه إليه أبو موسى الأشعري،

٢- وفيما خاطبه مشافهة عدي بن حاتم الطائي

٣- أو: المغيرة بن شعبة،

٤- أو: عمرو بن العاص أو: غيرهم.

فاستحسنه الناس واستصوبوه وكان رسول الله أطلق هذا الاسم قبله على عبد الله بن جحش حين بعثه في سرية، وقال السيوطي كما في: (المصباح الوهاج) حين ذكر أن أبا بكر بعد موته عليه الصلاة والسلام بعث أسامة على جيش للشام فكان الصحابة في ذلك السفر يدعونه أمير المؤمنين وروي عن سيدنا عمر أنه كان إذا رأى أسامة قال السلام عليك يا أمير المؤمنين فيقول أسامة: غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لي هذا فيقول: لا أزال أدعوك الأمير ما عشت مات رسول الله وأنت عليّ أميراً. اهـ.

ووقع في الأسئلة التي قدمها الشيخ تاج الدين السبكي للصلاح الصفدي:

من عد من أمراء المؤمنين ولم * يحكم على الناس من بدو ومن حضر

ولم يكن قرشياً حين عد ولا * يجوز أن يتولى امرأ البشر

ومن جواب الحافظ السيوطي عن الأسئلة المذكورة:

ثم المسمى أمير المؤمنين ولم * يحكم على الناس من بدو ومن حضر

أسامة حين ولاه النبي على * سرية لقبه ذاك في السفر

ثم توارث الخلفاء هذا اللقب سمة لا يشاركون فيها أحد وتنافسوا فيها خصوصاً ملوك بني أمية ثم بني العباس الذين كانوا ببغداد انظر: (الترتيب الإدارية) (٥/١) وما بعدها، و(البداية والنهاية) (١٠٨/٢٣/٧)، و(١٥١/١٥٠/٧).

١٨٦-انظر: (تصنيف الناس بين الظن واليقين) (ص: ٩٤).

١٨٧-انظر: (التعالم) (ص: ٩١).

١٨٨-رواه البخاري في: (الأدب المفرد) (٢٧١\٢٧٤)، والحاكم في: (المستدرک) (٦١٣\٢)، وقال: (صحيح على شرط مسلم)، وسكت عليه الذهبي -وصححه المحدث الألباني في: (الصحيحه) (١\رقم: ٤٥)، انظر: (فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد) (٢٧١\١)، والحديث سبق تخريجه آنفاً).

١٨٩-رواه البخاري في: "صحيحه" ١٧١/١٧٠/٤، والترمذي في: "جامعه" ٢٩٠/٣. من حديث جحيفة.

١٩٠-رواه البخاري في: "الأدب المفرد" وصححه المحدث الألباني في "صحيح الأدب المفرد" رقم: ٢٧١ من حديث سيدنا أبي هريرة -رضي الله عنه-.

١٩١-رواه البخاري في: "الأدب المفرد" وصححه المحدث الألباني في: "صحيح الأدب" رقم: ٢٧٢، -والنسخة التي عندي داخل السحن بتعليق: عادل سعد (ص: ٦٦/رقم: ٢٧٤: أخرجه أحمد (٣٨١/٢)، والحاكم في: "المستدرک" (٦٧٠/٢)، والبيهقي في: (السنن الكبرى) (١٩٢\١٠)، وابن أبي شيبه في: (مصنفه) (٣٣٤/٦)-، ورواه أبو داود في: "سننه" رقم: ٩٤٣، والترمذي بنحوه في: "جامعه" رقم: ٢٠٠٢.

١٩٢-رواه الإمام أحمد في: (مسنده) (٣٢٣/٥)، والحاكم في: "المستدرک" (١٢٢/١)، وحسنه الألباني في: "صحيح الجامع" رقم: ٥٣١٩، و(صحيح الترغيب) (رقم: ٩٦).

١٩٣-صحح هذه الرواية الشيخ الألباني في: "صحيح الجامع" (١٠٣/٥)..

- ١٩٤- رواه ابن حبان "الإحسان/رقم: ٥٥٩"، وأبو نعيم في: "الحلية" ١٧٢/١٧١/٨، والحاكم في: "المستدرک" ٦٢/١ وقال: "صحيح على شرط البخاري". وسكت عليه الذهبي، وصححه السيوطي، والمنائي، والألباني في: "السلسلة الصحيحة" رقم: ١٧٧٨.
- ١٩٥- وقديماً قيل: (وكم من صغير احتاج إليه الأكابر).
- ١٩٦- (سورة يوسف: ٨٠).
- ١٩٧- رواه البخاري في: (الأدب المفرد) (الرقم: ٣٥٧)، وحسنه الإمام النووي، والعراقي، وابن حجر، وسكت عليه أبو داود في: (سننه) (رقم: ٤٨٤٣)، وصححه المحدث الألباني في: (صحيح سنن أبي داود) (٩١٨/٣/رقم: ٤٠٥٣-من حديث أبي موسى)، و(صحيح الأدب المفرد) (رقم: ٢٧٤).
- قوله: (الغالي فيه: المبالغة في التجويد، أو: الإسراع في القراءة، بحيث يمنعه عن تدبر معانيه، وقيل: هو مجاوزة الحد فيه من حيث لفظه أو: معناه بتأويل باطل).
- وقوله: (الجفاء فيه: أن يتركه بعد علمه، وينساه بعد حفظه، وقيل الجائي عنه: المتباعد عن العمل به، وإتقان معانيه، انتهى من "فيض القدير" ٥٢٩/٢، و"دليل الفالحين" ٢١٥/٢، و(رفع الغشاوة في تحريم أخذ الأجرة على التلاوة) (ص: ٥١/٨)، للحدوشي عمر.
- ١٩٨- قال الشيخ محمد المقدم في كتابه: (حرمة أهل العلم) (ص: ٢٨٩): يقدم الأكبر سنّاً في الإمامة على من ليس بأقرأ ولا أفقه، ولا أقدم هجرة، ولا أقدم إسلاماً على الترتيب، لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلماً-وفي رواية: سنّاً...).
- وإنما جعل-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-في حديث مالك بن الحويرث للأكبر سنّاً، لأنه رضي الله عنه وأصحابه كانوا متساوين في الهجرة، والإقامة، وغرضهم بها، ومع ما في الشباب غالباً من الفهم، وهذا دال على استوائهم في القراءة والتفقه في الدين-فتح الباري: ١٧٠/٢).
- وحديث مالك أخرجه البخاري (١٥٥/١)، ومسلم (٤٦٥/١/٤٦٦)، انظر ترجمته في كتابي: (حكم الصلاة خلف الإمام المبتدع) (ص: ٤٢)-والمعتمد على الطبعة الثانية، أما الأولى فقد صححت فيها وغيرت كثيراً-تأمل.
- ١٩٩- رواه مسلم في: (صحيح مسلم) (٤٦٥/١)، وأبو داود في: (سننه) (٣٩١/٣٩٠/١)، والترمذي في: (جامعه) (٤٥٨/١/٤٥٩)، وقال: (حديث حسن صحيح)، والنسائي في: (سننه) (٧٧/٧٦/٢)، وابن ماجه في: (سننه) (٣١٤/٣١٣/١).
- ٢٠٠- (يوسف: ٧٨).
- ٢٠١- رواه البخاري في: (صحيحه) (٣٠٤٠/٨-الفتح).
- ٢٠٢- انظر: (المنتظم) لابن الجوزي (٩٢١٠)، و(تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٦٤١/١١/رقم: ٢٦٠).
- ٢٠٣- انظر: (جامع بيان العلم) (٥٢١/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٤).
- ٢٠٤- انظر: (الجامع) (٣٤٤/١) للخطيب.
- ٢٠٥- رواه مسلم في: (صحيحه) (رقم: ٨١٧)، وابن ماجه في: (سننه) (رقم: ٢١٨)، والدارمي في: (سننه) (٤٤٣/٢).
- ٢٠٦- انظر: (سير أعلام النبلاء) (٥٦/٤). ولفظه: (روى ابن عون عن محمد قال: كان أصحاب عبد الله خمسة كلهم فيه عيب...).
- ٢٠٧- انظر: (تخذيب سير أعلام النبلاء) (٧٣٤/٢).
- ٢٠٨- انظر: (الحث على حفظ العلم) للعسكري (ص: ١٨).
- ٢٠٩- انظر: (السير) (٢٠٨/٦).
- ٢١٠- انظر: (السير) (٢٠٨/٤).
- ٢١١- انظر: (السير) (٥٠٠/٨).
- ٢١٢- انظر: (سير أعلام النبلاء) (٥٨٠/٥٧٩/١٠).
- ٢١٣- انظر: (الجامع) للخطيب (٢٢٣/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٥).
- ٢١٤- انظر: (الجامع) للخطيب (٢٢٣/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٦).
- ٢١٥- انظر: (الجامع) للخطيب (٢٢٣/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ٢٢٦).
- ٢١٦- انظر: (صفة الصفوة) (٢٤٨/٣) لابن الجوزي.
- ٢١٧- أخرجه مسلم في (صحيحه) (رقم: ٤٣٢)، وأبو داود (رقم: ٦٧٤)، والنسائي (٩٠/٢).

٢١٨- العقل لغة: المنع لمنعه صاحبه من العدول عن سواء السبيل، واصطلاحاً: غريزة يُهيأ-يُهيأ-بها لدرك العلوم النظرية، ويقال: إنه نور يقذف في القلب، وقيل في تعريفه غير هذا. انظر: (الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة) (ص:٦٦)، و(فتح الوهاب بشرح الأدب) (رقم:٥٥) كلاهما للقاضي زكرياء بن محمد الأنصاري.

٢١٩- قال البخاري في كتاب العلم من: (صحيحه): (٥٠-باب: الحياء في العلم): (وقال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر). ثم ذكر في الباب: (ح: ١٣٠-وأطرافه: ٢٨٢/٣٢٢٨/٦٠٩١/٦١٢١)، و(٥١-باب: من استحيا فأمر غيره بالسؤال-رقم: ١٣٢/وطرافه: ١٧٨/٢٦٩). وأثر مجاهد هذا انظر تخريجه في: (المقاصد) (ص:٤٦٩)، و(مختصر المقاصد) (ص:٢٠٤)، و(التمييز) (ص:١٩٥)، و(كشف الخفاء) (٢/٤٨٥/٤٩٩)، و(فتح الباري) (١/٢٠٢)، و(المصنوع) (ص:٢٠٧)، و(الدرر المستثرة) (ص:٢٥٥)، و(تحذير المسلمين) (ص:١٢١)، و(أسنى المطالب) (ص:٣٥٥).

وجاء في هامش: (الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث) (ص:٢٥٩/رقم: ٦١٨): (وأثر مجاهد رواه البخاري تعليقاً. انظر: (الفتح) (١/٢٨)، والدارمي (٥٥١)، والبيهقي في (المدخل) (ص:٢٨١/٢٨٢/رقم: ٤١٠)، والخطيب في (الفقيه والمتفقه) (٢/١٤٤/١٤٤)).

٢٢٠- رواه البخاري في مواضع من (صحيحه) (٢-كتاب العلم، ٤-باب: قول المحدث: حدثنا، أو: أخبرنا، وأنبأنا/و-باب: طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم) (٢/٢٣/١٩/٢/رقم: ٦١/٦٢/٧٢/١٣١/٢٢٠٩/٤٦٩٨/٥٤٤٤/٥٤٤٨/٦١٣٢/٦١٤٤-مع عمدة القاري شرح صحيح البخاري) للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، دار الكتب العلمية-وهي النسخة التي عندي داخل السجن، وأخرجه مسلم في (صحيحه) في تلو كتاب التوبة.

٢٢١- متفق عليه.

٢٢٢- رواه البخاري في (الأدب المفرد)، وصححه الألباني في (صحيح الأدب المفرد) (ص:١٤٥).

٢٢٣- رواه ابن رجب في (الجامع) (١/٤٥٩/٥١٩/رقم: ٧١٩/٨٤٠)،

٢٢٤- أخرجه عبد الرزاق في: (مصنفه) (١١/١٣٧). كما في هامش (جامع بيان العلم وفضله) (١/٤٥٩/رقم: ٧١٩).

٢٢٥- رواه ابن أبي شيبة، وأبو نعيم في (الحلية) (٤/٨٢)، والدارمي (١/٩٠/٩١)، وابن عبد البر في (الجامع) (١/٥١٧/٥١٨/رقم: ٨٣٥/إلى: ٨٣٩).

٢٢٦- رواه ابن عبد البر في: (الجامع) (١/٥١٧/٥١٨/رقم: ٨٣٧-صحيح).

٢٢٧- رواه ابن عبد البر في: (الجامع) (١/٤٢٣/٥١٨/٥١٩/رقم: ٨٣٩/٦٢٥). وقد سبق هذا الأثر.

٢٢٨- انظر ترجمته في: (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٥/٧١٠/إلى: ٧١٦/رقم: ٤٤٧). وقد سبق هذا الأثر.

٢٢٩- هذه العبارة من عبارات الجرح بلا شك، لأن الخطأ ينقسم إلى قسمين:

١- خطأ فاحش،

وخطأ خفيف،

فالأول يدخل فيه قولهم: (فلان أخطأ ويصر)، أو: (يصر على الخطأ)، وقد جعل شعبة، وابن مهدي، وغيرهما الإصرار على الخطأ من أسباب ترك الرجل، وترك روايته، وإن كانت المسألة ليست على إطلاقها، بل: فيها تفصيل دقيق ذكره أئمة الجرح والتعديل.

فالإمام من الأئمة قد يصر، ولا يضره شيئاً، كرواية مالك بن أنس في حديث: (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم-أخرجه البخاري (١٥٨٨/٤٢٨٣)، ومسلم (١٦١٤)).

أما إذا لم يكن المصّر من هؤلاء الأئمة الكبار، ويخطئ خطأ فاحشاً، والعلماء يراجعونه فيه ولم يرجع، كأن يبدل الثقة بضعيف، أو: الضعيف بثقة، أو: يأتي في المتن بزيادة منكروة ومخالفة الأصول الشرعية، ففي هذه الحالة يضعف ويصحّح.

فعلم أن المصّر على هذه الهيئة لا يقبل، بل: يترتب على ذلك ترك روايته، كما صرح بذلك شعبة حين سئل: من نقبل روايته ومن نرد؟ فذكر من لا تقبل روايته فعد منهم: من يصر على خطئه، أو: يكذب في حديث النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، إلى غير ذلك، ولكن المهم التفرقة بين من هو إمام من الأئمة، حصل له ثقته بحفظه وكتابته، وبين واحد يحكم عليه بأنه من المتوسطين...

(إتحاف النبيل بأجوبة أسئلة المصطلح والجرح والتعديل) (١/١٣٣/رقم: ١٠٣). وكتابي: (قناص الشوارد...) (ص:١٣٠٠)، و(القول الحصيف...) (ص:٩٩/١٠٠).

- تنبيه: إذا قال ابن حبان في الراوي: (يخطئ-فقط دون وصف آخر) فهو إنما يعني أنه وسط حسن الحديث، فهناك مئات المترجمين عنده قال فيهم هذا-أو: نحوه-ومع ذلك يخرج لهم في "صحيحه" كما قال الشيخ الألباني في (النصيحة) (٢٤٧).
- ٢٣٠- أخرجه ابن عبد البر في: (الجامع) (٥٢١/١/رقم: ٨٤٦/٨٤٥).
- ٢٣١- (إسناده صحيح). رواه ابن أبي خيثمة في: (كتاب العلم) (ص: ٤٤/رقم: ٢١)، وأخرجه الإمام أحمد في: (الزهد) (ص: ٢٦١) عن وكيع عن سفيان به ولفظه: (أدركت أقواماً إن كان الرجل ليجلس مع القوم يرون أنه عبيّ...).
- ٢٣٢- ولا تعينه في الجواب. انظر: (مختصر منهاج القاصدين) (ص: ٣٢).
- قال المحبوس الحدوشي: بل: لا بأس أن يعينه في الجواب ولكن ينسب هذا الجواب لشيخه، مثل أن يقول: كما تعلمنا منكم شيخنا الكرام: (كذا وكذا)، ويذكر جواب المسألة، إن رأى أن شيخه لم يستحضر جواب تلك المسألة.
- تنبيه: أذكر مرة كنا ندرس عند أحد شيوخنا الكبار (مرشد المعين) بين العشاءين فكان مع الطلبة رجل فتان يسأل العلماء أسئلة للتعجيز وهو رجل أُمي-فسأل شيخنا سؤالاً سمعه من أحد الشيوخ-والمسجد غاص بالحاضرين-يريد به إعجازه ليبين للحاضرين أن هذا الشيخ لا يفهم الحديث، فلما رأيت شيخنا غاب عنه الجواب، قلت: شيخنا جواب السائل كتب فيه المحدث الألباني رسالتين، وكتب فيه الشيخ مقبل رسالة صغيرة، ورجح الشيخ الألباني في المسألة كذا وكذا. فسكت الرجل. فلما خرج ذلك المتعنت وبقينا وحدنا قال لي شقيقي الفاضل: جزاك الله خيراً، ثم قال: هل عندك هذه الرسائل التي ذكرت؟ قلت: نعم، هما لك هدية مني فشكرني... وخرج الرجل غاضباً وجمع الناس خارج المسجد فقال لهم: الشيخ لم يستطع الجواب لولا الحدوشي!!.
- ٢٣٣- انظر: (الجامع) (٣٤٧)، و(الفقيه والمتفقه) (٩٩/٢) للخطيب، و(جامع بيان العلم وفضله) (٥٢٠/٥١٩/١/رقم: ٨٤١).
- ٢٣٤- قال ابن قدامة-رحمه الله تعالى-: (وعلى المتعلم أن يُلقَى زمامه إلى المعلم إلقاء المريض زمام الطبيب، فيتواضع له، ويبالغ في خدمته. وقد كان ابن عباس يأخذ بركاب زيد بن ثابت-رضي الله عنه-ويقول له: تنح يا ابن رسول الله، فيقول ابن عباس: إنا هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا). أخرجه الطبراني، والحاكم، والبيهقي في: (المدخل)، وإسناده صحيح.
- قال الحافظ الذهبي-رحمه الله تعالى-في ترجمة: عبد الله بن محمد ابن الحنفية، أبي هاشم الهاشمي: (قال يعقوب بن شيبة: حدثنا سليمان بن منصور، قال: حدثنا حجر بن عبد الجبار، قال: سمعت عيسى بن علي وذكر أبا هاشم فقال: كان قبيح الخلق، قبيح الهيئة، قبيح الدابة، فما ترك شيئاً من القبح إلا نسب إليه، قال: وكان لا يُذكر أبي عنده، أبوه هو علي بن عبد الله، إلا عابه، فبعث إلى ابنه محمد بن علي إلى باب الوليد بن عبد الملك، فأتى أبا هاشم، فكتب عنه العلم، وكان يأخذ بركابه...). انظر: (المعرفة والتاريخ) (٦٢٢/١).
- انظر: (شرح الإحياء) (٣١٢/١)، و(مختصر منهاج القاصدين) (ص: ٣٢)، و(جامع بيان العلم وفضله) (ص: ٢٠٣)، و(تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٤١٠/٢/رقم: ٢٤)، و(١١٢٦/٢/رقم: ١٢١)، و(٥٨٧/٤/رقم: ٢٦).
- ٢٣٥- رواه الخطيب البغدادي في (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) (١٨٨/١)، و(مختصر منهاج القاصدين) (ص: ٣٢/٣٣).
- ٢٣٦- انظر: (جامع بيان العلم وفضله) (٢٣٤/١/رقم: ٢٦٠).
- ٢٣٧- متفق عليه.
- ٢٣٨- انظر: (السير) (٤٢٠/٨)، و(ذاكرة سجين مكافح) (٥٥/٢).
- ٢٣٩- انظر: (السير) (٢٣١/١٠).
- ٢٤٠- انظر: (الجامع) (٣٢١/١)، و(حرمة أهل العلم) (٢٩٣/٢٨٥).
- ٢٤١- انظر: (السير) (١٦٨/٤).
- ٢٤٢- انظر: (السير) (٤٩٩/٨).
- ٢٤٣- انظر: (المدخل) للبيهقي (ص: ٣٨٨).
- ٢٤٤- انظر: (حلية الأولياء) (٢٩/٨) ط: دار الكتب العلمية.
- ٢٤٥- انظر: (ترتيب المدارك...) (١٥٤/١) للقاضي عياض.
- ٢٤٦- انظر: (الجامع) (٣٤٥/١).
- ٢٤٧- انظر: (الآداب الشرعية، والمنح المرعية) (٤١٦/١).
- ٢٤٨- انظر: (الجامع) (٣٢٠/١) للخطيب.

- ٢٤٩- انظر: (حرمة أهل العلم) (ص: ٢٩٥).
- ٢٥٠- انظر: (الجامع) (١٧١/١٧٠)، (الخطيب).
- ٢٥١- انظر: (الجامع) (١٧١/١).
- ٢٥٢- انظر: (الجامع) (١٧١/١).
- ٢٥٣- انظر: (الجامع) (١٧١/١).
- ٢٥٤- انظر: (الجامع) (١٧١/١).
- ٢٥٥- رواه الطبراني في: (الكبير) (١٠٩/١)، (٢/٣٠٤/رقم: ٢٢٦٦)، و(٢/٣٢٥/رقم: ٢٣٥٨)، والخطيب في: (تاريخ بغداد) (١٨٨/١)، والحديث قواه الحافظ السخاوي في: (المقاصد) بطرقه، وقد فصل الكلام على تخرجه الشيخ المحدث الألباني في: (الصحيحة) (٢٠٣/٣ إلى ٢٠٨/٣ رقم: ١٢٠٥).
- ٢٥٦- أخرجه مسلم في: (مقدمة صحيحة) (٦/١) تعليقاً بصيغة التمریض، فقال: "يذكر عن عائشة..."، وأبو داود بنحوه في: (سننه) (رقم: ٤٨٤٢)، وحاول تحسينه السخاوي في ترجمة: ابن حجر، و(المقاصد الحسنة)، وسكت عليه في كتابه: (الإعلان بالتوبيخ) (ص: ٨٨)، وكذا ابن علان في: (دليل الفالحين) (٢/٢١٨)، وضعفه غير واحد من العلماء... ومن شاء أن يتوسع في تخرجه فعليه ب(السلسلة الضعيفة) (رقم: ١٨٩٤)، و(سنن ضعيف أبي داود) (رقم: ١٠٣٢). وقد سبق الكلام على هذا الحديث في أول هذه الرسالة مختصراً.
- ٢٥٧- انظر: (المفهم) (١٢٦/١٢٥/١٢٦ رقم: ٦/٦-باب: الأمر بتنزيل الناس منازلهم، ووجوب الكشف عمن له عيب من رواة الحديث) للقرطبي.
- ٢٥٨- انظر: (سنن أبي داود) (١٧٣/٥ رقم: ٤٨٤٢)، و(المفهم) (١٢٦/١ رقم: ٦/٦-باب: الأمر بتنزيل الناس منازلهم، ووجوب الكشف عمن له عيب من رواة الحديث) للقرطبي.
- ٢٥٩- هذا الكلام فيه نظر، لأن مسلماً لم يشترط في المقدمة ما اشترطه في: (صحيحه)، فلو فعل لكان اعتراض القرطبي سليماً ومهماً، أما وقد ميز بين ما رواه في: (المقدمة)، وما رواه في: (صحيحه) فلا وألف لا، وقد بينت هذا في كتابي: (شفاء التبريح...) (ص: ٥١) تحت استفهام وسؤال هذا نصه: (هل ميز العلماء بين ما رواه مسلم في مقدمة: (صحيحه) وما رواه في (صحيحه)، أم لا؟).
- الجواب: قال ابن القيم في: (الفروسيّة) (ص: ٤٤): (مقدمة كتاب مسلم لم يشترط فيها ما شرطه في الكتاب من الصحة، فلها شأن، ولسائر كتبه شأن آخر، ولا يشك أهل الحديث في ذلك). انظر: (الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة) (ص: ٢٨\٣٠٠).
- ٢٦٠- رواه البخاري في: (صحيحه) (رقم: ٣٣٨٣)، ومسلم في: (صحيحه) (رقم: ٢٦٣٨/١٦٠) من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-.
- ٢٦١- انظر: (المفهم) (١٢٩/١).
- ٢٦٢- انظر: (الجامع) (٣٤٨/١) للإمام الخطيب.
- ٢٦٣- انظر: (المدخل) (ص: ٣٨٨) للبيهقي.
- ٢٦٤- انظر: (صفوة الأخبار) (ص: ٢٦٤).
- ٢٦٥- رواه الحاكم في: (المستدرک) (وصححه على شرط الشيخين)، وسكت عليه الذهبي، وصححه المحدث الألباني.
- ٢٦٦- انظر: (١٠/١٣٢)، قال محمد المقدم في: (حرمة أهل العلم) (ص: ٢٩٨): (وإنما أنكر سفيان ذلك، لأن قبيصة كان كما قال الذهبي: قد ففز القنطرة).
- ٢٦٧- انظر: (الكنز) (٥٥/٧).
- ٢٦٨- انظر: (المدارج) (٢/٣٨٤) لابن القيم، مع تصرف كبير مني.
- ٢٦٩- أخرجه الحاكم في: (المستدرک) (٤/١٩٧)، والبخاري في: (الأدب المفرد) (ص: ٨٢/رقم: ٣٥٣)، تحقيق: عادل سعد، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز-وهي النسخة التي عندي داخل السجن بزنزاتي الانفرادية، وصححه المحدث الألباني في: (صحيح الأدب المفرد) (رقم: ٢٧١).
- ٢٧٠- أخرجه أبو داود في: (السنن) (رقم: ٤٩٤٣)، وأحمد في: (مسنده) (٢/٢٢٢)، والبخاري في: (الأدب المفرد) (ص: ٨٢/رقم: ٣٥٤/٣٥٥)، تحقيق: عادل سعد، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز.
- ٢٧١- أخرجه الطبراني في: (المعجم الكبير) (٨/٢٢٧)، والبخاري في: (الأدب المفرد) (ص: ٨٣/رقم: ٣٥٦)، تحقيق: عادل سعد، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، وصححه المحدث الألباني في: (صحيح الأدب المفرد) (رقم: ٢٧٢)، ورواه أبو داود في: (رقم: ٤٩٤٣)، والترمذي بنحوه في: (جامعه) (رقم: ٢٠٠٢).

- ٢٧٢- أخرجه أحمد في: (مسنده) (٢٠٧/٢)، والبخاري في: (الأدب المفرد) (ص: ٨٣/رقم: ٣٥٦)، تحقيق: عادل سعد، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، انظر: (صحيح الجامع) (١٠٣/٥).
- ٢٧٣- أخرجه أبو داود في: (سننه) (رقم: ٤٨٤٣)، والبيهقي في: (السنن الكبرى) (١٦٣/٨)، والبخاري في: (الأدب المفرد) (ص: ٨٣/رقم: ٣٥٧)، تحقيق: عادل سعد، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز.
- ٢٧٤- أخرجه ابن أبي شيبة في: (مصنفه) (٢١٤/٥)، والحميدي في: (مسنده) (٢٦٨/٢)، والبخاري في: (الأدب المفرد) (ص: ٨٣/رقم: ٣٥٨)، تحقيق: عادل سعد، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، سبق تخريجه آنفاً.
- ٢٧٥- انظر: (غريب الحديث) (٣٨٤/٣٨٣/٣) للقاسم بن سلام، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٢). قال الحافظ الذهبي في: (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٦٨١/٥/رقم: ٣٨٥): (وقال أبو زكرياء يزيد بن محمد بن إياس الأزدي: أخبرني عبد الله بن زياد، قال: سمعت أبي يقول عن بعض مشايخه، قال: توفي النبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- فكان أشبه الناس بمجديه ودله ابن مسعود، فلما مات كان أشبه الناس بمجديه ودله علقمة، فلما مات كان أشبه الناس بمجديه ودله إبراهيم النخعي، فلما مات كان أشبههم بمجديه ودله منصور، فلما مات كان أشبههم بمجديه ودله سفيان الثوري، فلما مات كان أشبه الناس بمجديه ودله المعافى بن عمران، فلما مات كان أشبه الناس بمجديه ودله أبو هاشم محمد بن علي).
- ٢٧٦- انظر: (إسعاف المبطل برجال الموطأ) (ص: ٣)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٢).
- ٢٧٧- لأن ابن سيرين توفي سنة (١١٠ هـ). انظر هامش: (حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٢).
- ٢٧٨- انظر: (من أخلاق السلف) (ص: ٧) لأحمد فريد.
- ٢٧٩- هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق من الفقهاء السبعة، من أكابر التابعين والفضلاء والعلماء. انظر هامش: (حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٢).
- قال أبو الفضل عمر الحدوشي -فرج الله عنه-: وقد ذكرت في: (قناص الشوارد...) (ص: ٨٨٩\٨٩٠ رقم: ١٨١)، و(شفاء التريح...) (ص: ٤٧٨/٣٧٩):
- فائدة: في أسماء الفقهاء السبعة:
- الفقهاء السبعة، وهم كبار علماء التابعين، وكلهم من أهل المدينة وهم:
- ١- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود.
 - ٢- عروة بن الزبير بن العوام.
 - ٣- القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق.
 - ٤- سعيد بن المسيب بن حزن.
 - ٥- أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.
 - ٦- سليمان بن يسار مولى ميمونة.
 - ٧- خارجة بن زيد بن ثابت -رضي الله عنهم أجمعين-.
- وقد جمعهم بعضهم في بيتين فقال:
- إذا قيل من في العلم سبعة أبحر ** روايتهم ليست عن العلم خارجة
فقل هم عبيد الله عروة قاسم ** سعيد أبو بكر سليمان خارجة
وأبو بكر بن الحارث قيل اسمه: محمد، وقيل: المغيرة.
- وقال الحافظ العراقي في: (ألفيته) (ص: ١٦٣) في: (مبحث: معرفة التابعين):
- وفي الكبار الفقهاء السبعة * خارجة القاسم ثم عروة
ثم سليمان عبيد الله * سعيد والسابع ذو اشتباه
إمّا أبو سلمة أو: سالم * أو: فأبو بكر خلاف قائم
- وقال السيوطي في: (ألفية في علم الحديث) (ص: ١٥١) في (مبحث: معرفة التابعين وتابعيهم):
- على كلام الفقهاء السبعة * هذا عبيد الله سالم عروة
خارجة وابن يسار قاسم * أو: فأبو سلمة عن سالم

- ٢٨٠- ناحية الرجل: جهته، وطرفه، يريد: كل ما يصدر من طرف القاسم. انظر هامش: (حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٢).
- ٢٨١- انظر: (السير) (٥٧/٥)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٢).
- ٢٨٢- انظر: (تاريخ بغداد) (١١/٤٦٢)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٢).
- ٢٨٣- انظر: (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٣/٤٧٥/رقم: ٢٥٤-ترجمة: عمرو بن عبد الله، أبي إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي، أحد الأعلام وشيخ الكوفة).
- ٢٨٤- انظر: (ترتيب المدارك...) (١١٧/١)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٣).
- ٢٨٥- انظر: (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٣/٥٠٩/رقم: ٣٠٤) تحقيق: بشار عواد، وقال الحافظ في: (التقريب) (٣١٧/٣-رقم: ٦٢٩٦-مع التحرير): (أبو بكر الحافظ: متفق على حالته وإتقانه، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة).
- ٢٨٦- فائدة: قال عبد الله بن وهب صاحب مالك: (وكان أول أمري في العبادة، قبل طلب العلم، فولع بي الشيطان في ذكر عيسى ابن مريم كيف خلقه الله عز وجل؟ ونحو هذا. فشكوت ذلك إلى شيخ، فقال لي: ابن وهب؟ قلت: نعم. قال: اطلب العلم. فكان سبب طلبي للعلم) (جامع بيان العلم وفضله) (١٢٩/١/رقم: ١٢٨).
- ٢٨٧- انظر: (السير) (١١٣/٨)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٣).
- ٢٨٨- انظر: (شرح منتهى الإرادات) (٩/١) للبهوتي، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٣).
- ٢٨٩- انظر: (السير) (١٩٦/٢٠)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٣).
- ٢٩٠- انظر: (السير) (١٢٠/٦)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٣).
- ٢٩١- انظر: (السير) (٤٣٨/٨)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٣). وقال الحافظ الذهبي في: (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٤/٩٤٤/رقم: ٢٩٠): (وقال مردويه: وقال لي رباح بن خالد: إن ابن المبارك قال له: إذا نظرت إلى فضيل بن عياض جدد لي الحزن ومقت نفسي. ثم بكى).
- ٢٩٢- هو الإمام، شيخ الإسلام، ياقوتة العلماء المعاني بن عمران بن نفيل بن جابر بن جبلة، أبو مسعود الأزدي الموصلي الحافظ القدوة، شيخ الموصل وعالمهم وزاهدهم.
- وقال ابن عمار، وسلمة بن أبي نافع: (مات سنة خمس وثمانين). وقال الهيثم بن خارجة وغيره: (سنة ست). انظر ترجمته في: (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) للحافظ الذهبي (٤/٩٧٦/٩٧٩/رقم: ٣٥٤)، و(الحلية) (٢٨٨/٨)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٣).
- ٢٩٣- انظر: (السير) (٨٢/٩)، و(تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٤/٩٧٦/٩٧٩/رقم: ٣٥٤)، و(حرمة أهل العلم) (ص: ١٤٣). ومرة قال الحافظ الذهبي في: (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٤/٩٧٨/رقم: ٣٥٤): (وقيل لبشر الحائي: نراك تعشق المعاني بن عمران؟ فقال: وما لي لا أعشقه وقد كان سفيان يسميه الياقوتة).
- وهذا الأثر- وغيره- فيه الرد على من قال بأن لفظه: (العشق) لا تستعمل إلا في حق المرأة!!!
- ٢٩٤- ومما قلته في شيخنا عَلم "الفكر" والأدب محمد بوخبزة- بالسجن المحلي بتطوان ١٨ صفر ١٤٢٨ هـ من البسيط:
- به أباهي دُعَاةَ الْفِكْرِ مُفْتَحِرًا * هَيْهَاتَ يَبْلُغُ قَرْمٌ وَاطِيٌ قِمَمًا
كَأَنَّمَا قَلَمِي قَدْ صَبَغَ مِنْ ذَهَبٍ * وَمِنْ جَمَا الطَّيْنِ غَيْرِي اسْتَحْرَجَ الْقَلَمَا!
فَاعْجَبْ لِسَائِي أَرَى الْأَشْوَاكَ أَحْسَبَهَا * زَهْرًا وَأَحْسَبُ نَوْحَ الْمُشْتَكِي نَعْمَا!
لَا جَزْمَ أَنِّي فِي وَهْمٍ يُجِيلُ لِي * أَنِّي لَقَرِطُ غُرُورِي قَدْ خَرَقْتُ سَمَا!
ومما قلته أيضاً في حقه- بالسجن المحلي بتطوان ١٩ صفر سنة ١٤٢٨ هـ:
- فَأَكْرَمَ بِالْبَرَاءِ رَفِيقَ دَرْبٍ * إِذَا ضَاقَتْ بِرُفْقَتِكَ الصَّحَابَةُ
يُؤَانِسُ وَخَشَنَةً وَيُذِيبُ هَمًّا * وَيَشْرَحُ صَدْرَ عَانٍ ذِي صَبَابَةٍ
أَلَا فِي الْحَرْفِ سِحْرٌ لَا يُضَاهِي * يَزِيدُ لِكُلِّ ذِي شَيْبٍ شَبَابَةً
- ٢٩٥- انظر: (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) (٤/٩٤٠/رقم: ٢٨٤).

- ٣٢٢- سورة الشعراء، رقم الآية: (٢١٥).
- ٣٢٣- سورة الحجرات، الآية رقم: (١٣).
- ٣٢٤- الصَّعْر: ميل في وجهه، وقيل: الصعر الميل في الخد خاصة، وقد صَعَّرَ خَدَّه وصاعره: أماله من الكبر. انظر: (لسان العرب) (ص: ٢٣٣).
- ٣٢٥- انظر: (مختصر منهاج القاصدين) (ص: ٢٣٣)، والنسخة التي عندي داخل السحن بتحقيق علي حسن (ص: ١٩٢/٢٩٣)، و(آفات العلم) (٩٠/٨٩) ..
- ٣٢٦- الأدواء: جمع داء. انظر: (مختصر منهاج القاصدين) (ص: ٩٠).
- ٣٢٧- انظر: (تَهْدِيبُ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ) (٢ ص: ١٣٦).
- ٣٢٨- قالت أم الفضل حرم وتلميذة المؤلف: (ولا سيما) قال ثعلب: يلحنون فيه لحنات، يحذفون الواو منه، وحرف النفي، ويحققون تاءه وقد أبدلت العرب (لا) تاءً فقالوا: (تا سيما) كما قالوا: (قام زيد تا بل: عمرو- همع الموامع ٢٩٥/٣-) ولا يجوز استعماله إلا كما جاء في قوله: (ولا سيما يوم بدارة جملج) (الهمع ٢٩٣/٣ والأشموقي ٤١١/١) وقال السخاوي: يجوز حذف النفي منه قياساً على قوله تعالى: (تالله تفتؤا) أي: لا تفتؤا. قال العلامة السيوطي: ولا تحذف لا من لا سيما، لأنه لم يسمع إلا في كلام المولدين كقوله: (سيما من حالت الأحراس من دون مناه). قال الصبان: أما حذف (لا) فقال الدماميني: حكى الرازي أنه يقال: (سيما) بالتثقيف والتخفيف مع حذف (لا) ولم أقف عليه من غير جهته، بل: في كلام الشارح- أي: المرادي- أن سيما يحذف (لا) لم يوجد إلا في كلام من لا يحتج بكلامه. (الهمع ١٩٤/٣)، و(حاشية الصبان ١٦٨/٢)، و(النكت) للزركشي (٢٦/١). انتهى من حاشية: (إمداد السقاة بدلو الرواة) (ص: ٢٢٠).
- ٣٢٩- انظر: (تَهْدِيبُ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ) (٢/١٣٨).
- ٣٣٠- انظر: (الروح) (ص: ٣١٧).
- ٣٣١- رواه البخاري في: (صحيحه) كتاب الأدب- تعليقاً، وأحمد موصولاً. وقد خرجته-بتوسع- في كتابي: (حكم مصافحة المرأة الأجنبية). لا تطوله يدي الآن.
- ٣٣٢- رواه البخاري في: (صحيحه) كتاب الاستئذان، ومسلم في: (صحيحه) كتاب الفضائل، وأبو داود في: (سننه) كتاب الأدب، والترمذي في: (جامعه) كتاب الاستئذان والأدب، وأحمد في: (مسنده) باقي مسند المكثرين. وغيرهم.
- ٣٣٣- رواه البخاري في: (صحيحه) كتاب الأذان، وأحمد في: (مسنده) باقي مسند المكثرين. بلفظ: (قالت: كما يصنع أحدكم يخسف نعله أو: يرقع ثوبه).
- ٣٣٤- رواه البخاري في: (صحيحه) كتاب الإجارة، وفي أحاديث الأنبياء، والأطعمة.
- ٣٣٥- رواه مسلم في: (صحيحه) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفة التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (رقم: ٥١٠٩)، وأبو داود في: (سننه) كتاب الأدب، وابن ماجه كتاب الزهد وغيرهم.
- ٣٣٦- وقوله "إمداد أهل اليمن" هم الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام في الغزو، وواحدهم: مدد، والحديث رواه مسلم في: (صحيحه) كتاب فضائل الصحابة (٩٥١٦- مع النووي).
- ٣٣٧- وقوله: "أكون في غرباء الناس أحب إليّ" أي: ضعافهم وصعاليكهم وأحلامهم الذين لا يؤبه لهم، وهذا من إثارة الخمول وكنم حاله.
- ٣٣٨- قال النووي- رحمه الله تعالى-: (قوله- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: "إن خير التابعين رجل يقال له أويس". هذا صريح في أنه خير التابعين، وقد يقال: قد قال أحمد بن حنبل وغيره: أفضل التابعين: سعيد بن المسيب، والجواب: أن مرادهم أن سعيداً أفضل في العلوم الشرعية، كالتفسير والحديث والفقه ونحوها، لا في الخير عند الله تعالى. انظر: (شرح النووي على صحيح مسلم) (٩٥/١٦)، و(آفات العلم) (ص: ٩٤/٩٥).
- ٣٣٩- اسورة الحجرات، الآية: (رقم: ٧). انظر: (تَهْدِيبُ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ) (٢/١٣٨).
- ٣٤٠- سورة الشعراء، الآية رقم: (٨٢).
- ٣٤١- وقد وردت في هذا أحاديث كثيرة تؤكد بأن الرسول- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- نفسه لا يعلم ما سيفعل به في المستقبل وأنه لا يستطيع دخول الجنة إلا إذا أدخله الله فيها برحمته وإليكم النصوص الدالة على هذا منها:
- ١- قوله- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: (مَا أَذْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي).-(رواه البخاري، مع الفتح: ١١٤/٣)-
- ٢- ومنها: (لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَا، وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَ بَيْنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ مِنْهُ وَرَحْمَةٍ). (رواه الشيخان: (الفتح- مع اختلاف في بعض الألفاظ- ١٢٧/١٠).

ففي هذين الحديتين صرح الرسول- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بأنه لا يعرف ما يفعل به وأنه لا يستطيع أن يدخل أحد بعمله الجنة إلا بفضل الله حتى هو صلوات الله وسلامه عليه، وإذا كان الرسول- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- كذلك لا يملك لنفسه دخول الجنة إلا برحمة الله فتوجه المتصوفة إليه بالدعاء والاستغاثة يعتبر عبثاً وهراً وما أوقعهم في هذا الشرك إلا حبههم للخرافة والابتداع والوقوع في حبال الشرك).

انظر: (مظاهر الانحرافات العقدية) (٤٨٨/١/٤٨٩). انتهى من هامش: (التوضيحات) (ص: ٤٩).

٣٤٢- رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل (رقم: ٥٩٨٦)، ومسلم (رقم: ٥٠٤٣).

٣٤٣- انظر: (صيد الخاطر) (ص: ٤٨٢).

٣٤٤- انظر: (جامع بيان العلم) (ص: ١٧٩).

٣٤٥- انظر: (آفات العلم) (ص: ٩٧/٨٥).

٣٤٦- قال الشاعر المفلح أبو أحمد محمد الزهيري- حفظه الله- بعد أن قرأ هذه القصيدة ما نصه: (القصيدة الثامنة والتسعون:

ميزان أعمالي إذا ما اعتدلاً * فغايي إحساني ذاك العملاً

قلت:

ميزان أعمالي إذا ما اعتدلاً * فغايي إحساناً ذاك العملاً).

٣٤٧- قال الشاعر المفلح أبو أحمد محمد الزهيري- حفظه الله- بعد أن قرأ هذه القصيدة ما نصه: (القصيدة التاسعة والتسعون:

فكل سهوٍ أو: خطأ في قولنا * يغفره الله بفضلنا لنا

قلت:

فكل سهوٍ يقتضي تدقيقاً * من أخوة التوحيد أو: تحقيقاً

والله قد جعل الحنيف وثيقاً * ويفيض كالمزن الزلال رحيقاً).

٣٤٨- يا أحي القارئ إذا وقفت على خطأ في النظم أو: النثر فقم بتصحيحه- وراسلنا به- تريخ شكرنا، واقل عذر المسجون البعيد أو: المبعد عن

مكتبته العامرة.

يَا مَنْ يُرى حُرّاً طليقاً فَأَقْبَلْ * عُدْرَ ابنِ مَسْعُودٍ إِذَا الْجَهْلُ انْجَلَى

بِالدَّمْعِ يَكْسُو الْعَيْنَ فِي حَوْفٍ أَلَا * يَكْفِي بَأْسَ الْبَابِ عَنِّي أَقْبَلْ؟!

٣٤٩- قال الشاعر المفلح أبو أحمد محمد الزهيري- حفظه الله- بعد أن قرأ هذه القصيدة ما نصه: (القصيدة الثانية والسبعون:

حَبَاكَ إِلَهِي كُلَّ فَضْلٍ وَمِنْهَ * وَتَبَّتْ فِي الْأَرْضِ أَقْوَى الرِّكَائِرِ

قلت لإصلاح عجز البيت:

وتبتكم في الأرض أقوى الركائر).

٣٥٠- انظر: (اللمع في الحوادث والبدع) (٢\١\١) للإمام إدريس بن بيدكين التركماني الحنفي، و(اعتذارات الأئمة) (ص: ٨٠) للأستاذ خليل بن

عثمان الجبور السبيعي.

٣٥١- قال شيخنا العلامة الأديب أبو الفضل عمر الحدوشي- فرج الله عنه-: ليت الشيخ الشاعر الشاب قال:

يَحْمِي الحديث من افتراء سيفاء....

٣٥٢- قال شيخنا العلامة الأديب أبو الفضل عمر الحدوشي- فرج الله عنه-: ليت الشيخ الشاعر الشاب قال:

فغيركم للنفس كالأمواو....

٣٥٣- قال شيخنا العلامة الأديب أبو الفضل عمر الحدوشي- فرج الله عنه-: ليت الشيخ الشاعر الشاب قال:

وَلَذِكْرُ أَحْمَدَ طَيْبٍ كُلِّ شِفَاو....

٣٥٤- قال شيخنا العلامة الأديب أبو الفضل عمر الحدوشي- فرج الله عنه-: ليت الشيخ الشاعر الشاب قال:

وخالقي قَسَمٌ إِلَهِي....

٣٥٥- قال شيخنا العلامة الأديب أبو الفضل عمر الحدوشي- فرج الله عنه-: (بمتاح، أي: يستقي، لأن المياح هو: الدلو، يمتا حبه الماء من البئر).

٣٥٦- قال شيخنا العلامة الأديب أبو الفضل عمر الحدوشي- فرج الله عنه-: (بشباه، أي: ليس بشيء مشبوه، إن لم يخالف الشرع فهو داخل في

المصالح المرسله).